
الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم
فى ضوء العلوم اللغوية الحديثة
د / محمد محمد داود

الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم

فى ضوء العلوم اللغوية الحديثة

أ. د/ محمد محمد داود

الأستاذ بكلية الآداب والتربية ـ جامعة قناة السويس

والأمين العام للمركز العالمى للقرآن الكريم وعلومه "جمعية المعرفة"

وعضو المجلس الدولى للغة العربية

رقم الإيداع
٢٠١٢/١٤٥٥٥
I. S. B. N
978 - 977 -07 - 1545-1

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن مؤسسة دار الهلال



الإدارة

القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت: ٣٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) . المكاتبات: ص.ب: ٦١ العتبة - القاهرة - الرقم البريدي ١١٥١١ - تلغرافيا: المصور - القاهرة ج. م. ع

تلكس:

Telek: 92703 hilal u n

فاكس:

FAX : 3625469

الإصدار الأول / يونيو ١٩٥١

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي ٧٢ جنيها داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدما نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٥ دولارا - أوروبا وآسيا وأفريقيا ٤٠ دولارا - أمريكا وكندا والهند ٤٥ دولارا - باقي دول العالم ٧٥ دولارا.

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لإدارة الاشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

ثمن النسخة: سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - الأردن ٢٢٥٠ فلس - الكويت ١,٢٥٠ فلسا - السعودية ١٢ ريالا - البحرين ١,٢ دينار - قطر ١٢ ريالا - الإمارات ١٢ درهما - سلطنة عمان ١,٢ ريال - اليمن ٤٠٠ ريال - المغرب ٤٠ درهما - فلسطين ٢ دولار - سويسرا ٤ فرنكات - السودان ٣,٥ جنية

البريد الإلكتروني: darhilal @ idsc. gov. eg

المحتويات

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبى الله ورسوله سيدنا محمد، رحمة الله للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فهذا بحث فى الإعجاز البيانى فى ضوء العلوم اللغوية الحديثة، التى تقوم على دراسة اللغة دراسة علمية، ولقد جاءت البحوث اللغوية المعاصرة التى تقوم على المناهج الحديثة تشهد للإعجاز القرآنى فى جوانبه المختلفة.

ويشمل هذا البحث بعد هذه المقدمة جملة من الموضوعات التى تتكامل فيما بينها، بدأ البحث ببيان مفهوم الإعجاز، وشروطه، ووجوهه، ثم حدَّد البحث ـ فى تركيز شديد ـ مفهوم البيان لغةً واصطلاحًا، ثم جاء صُلْب البحث فى بيان الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم فى ضوء العلوم اللغوية الحديثة، ويشمل:

- إعجاز الحرف/ الصوت المفرد، ويلحق به إعجاز الحركة.
- إعجاز الكلمة القرآنية (على المستوى الصوتى والوزن الصرفى، وخصوصية الدلالة للكلمة القرآنية).

- إعجاز النظم القرآنى: (إحكام التماسك والتناسق):
  - إحكام التماسك والتناسق على مستوى الآية.
  - إحكام التماسك والتناسق على مستوى الفاصلة فى القرآن الكريم.
  - إحكام التماسك والتناسق على مستوى السورة.
  - إحكام التماسك والتناسق بين سور القرآن الكريم.

هذا، وأسأل الله تعالى أن يكتب النفع بهذا البحث، وأن يتقبَّله بقبول حسن، فهو ولى ذلك والقادر عليه.

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (البقرة).

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

والحمد لله رب العالمين.

جمعية المعرفة

المركز العالمى للقرآن الكريم وعلومه

محـمد محـمد داود

١/ ٦/ ٢٠١٢م

الإعجاز والبيان

مفهوم الإعجاز:

- **لُغــةً**: يقول ابن منظور: يقال عَجَزَ يَعْجِـز عـن الأمـر، إذا قـصر عنه وضعف، والمعجزة اسم فاعل من الإعجاز؛ وسُمِّيت بـذلك لعجـز الناس عن معارضتها(١).
- **واصطلاحًا**: بلوغ القرآن فى درجـات البلاغـة والفـصاحة مَبْلَغًـا تَعْجِزُ قُدرةُ بُلَغَاء العرب عن معارضته أو الإتيان بمِثْله فى اللَّفظ والمعنى والنَّظْم، وخُلُوُّه من جميع العيوب وأَوْجه الـنَّقْص والقُـصور والتَّنـاقُض والاختلاف(٢).

حقيقة المعجزة وشرائطها :

المعجزة: واحدة معجزات الأنبياء الدَّالَّة عـلى صـدْقهم صـلوات الله عليهم، وسُـمِّيَتْ مُعْجِـزةً؛ لأنَّ البـشر يَعْجِـزُونَ عـن الإتْيـانِ بمِثْلهـا، وشرائطها خمسةٌ، فإن اختَلَّ شرطٌ منها لا تكون معجزةً:

- **الشرط الأول**: أنْ تكونَ ممَّا لا يقدِرُ عليها إلَّا الله تعالى.
- **الشرط الثانى**: أنْ تخْرِقَ العادة.
- **الشرط الثالث**: أنْ يستشهدَ بها مُدَّعى الرِّسالة على صدق رسالته.

- **الشرط الرابع**: أنْ تَقَعَ على وَفْق دعْوَى المتحدِّى بها.

- **الشرط الخامس**: ألَّا يأتى أحدٌ بمثْل ما أتَى به مدعى الرسالة؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود].

تعدُّد وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم:

تعدَّدتْ وجوه الإعجاز عند العلماء بين مُجْمَلٍ ومُفصَّل، ويمكن إجمال المسألة فى أربع جهات ترجع إليها وجوه الإعجاز المختلفة:

- **الجهة الأولى**: بلوغه الغايةَ القُصْوَى ممَّا يمكن أنْ يبلغه الكلام العربى البليغُ، من حصول كيفيات فى نظمه مفيدةٍ معانىَ دقيقةً ونكتًا (أى دقائق) من أغراض الخاصَّة من بُلَغاء العرب ممَّا لا يفيده أصل وضع اللغة، بحيث يكثر فيه ذلك كثرةً لا يدانيها شىء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم.

- **الجهة الثانية**: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرُّف فى نظم الكلام ممَّا لم يكن معهودًا فى أساليب العرب، ولكنه غير خارج عمَّا تسمح به اللغة.

▪ **الجهة الثالثة**: ما أُودِعَ فيه من المعانى الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقليَّة والعلميَّة ممَّا لم تبلغ إليه عقول البشر فى عصر نزول القرآن وفى عصور بعده متفاوتةٍ، وهذه الجهة أغفلها المتكلمون فى إعجاز القرآن من علمائنا، مثل أبى بكر الباقلانى والقاضى عياض"[٣].

▪ **الجهة الرابعة**: وقد عدَّ كثيرٌ من العلماء من وجوه إعجاز القرآن ما يُعَدُّ جهة رابعة، هى ما انْطَوَى عليه من: الإخبار عن المغيَّبات، ممَّا دلَّ على أنَّه منزَّلٌ من علَّام الغيوب.

• **إذا كان القرآن الكريم قد نزل بلسانٍ عربى مبينٍ، فإعجازه خاصٌّ بالعرب، فهل بقى لغير العرب شىء من إعجاز القرآن؟!**

إعجاز القرآن من الجهتين الأولى والثانية متوجِّه إلى العرب؛ إذ هو معجز لفصحائهم وشعرائهم، والقرآن معجز من الجهة الثالثة للبشر قاطبةً إعجازًا مستمرًّا على ممرِّ العصور؛ حيثُ أَوْدَعَ الله ﷻ فيه من الحُجَّة الحيَّة المستمرَّة الباقية إلى يوم القيامة، بما أَوْدَعَ فيه من حقائق العلوم الكونيَّة التى لم يكن للبشريَّة عِلْمٌ بها بأى وَجهٍ من الوجوه وقتَ نزول القرآن الكريم.

مفهوم البيان:

• **لُغةً**: ما بُيِّنَ به الشىء، وبانَ الشىء بَيانًا: اتَّضَح[٤]، فالمراد

بالبيان: إيصال المعنَى المراد بوضوح.

- **واصطلاحًا:** هو اسْمٌ جامعٌ لكلِّ شيء كشفَ لك قناعَ المعنى، وهتَكَ الحُجُبَ دُونَ الضَّمير، حتَّى يُفْضِي السَّامعُ إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنًا ما كان ذلك البيانُ، ومن أى جنسٍ كان ذلك الدليلُ؛ لأن مدارَ الأمر، والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع إنَّما هو الفهم والإفهامُ، فبأى شيء بلغتَ الإفهامَ وأوضحتَ عن المعنى فذاك هو البيان، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحُسن الاختصار ودقَّة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضحَ وأفصحَ، وكانت الإشارةُ أبْيَنَ وأنْوَرَ، كان أنفعَ وأنجعَ، والدلالةُ الظاهرةُ على المعنى الخفى هو البيان[٥].

وقد ذكر الله تعالى جميل نعمته فى تعليم البيان وعظيم مِنَّته فى تقويم اللِّسان فقال عز من قائل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم]؛ لأنَّ مدار الأمر على البيان والتبيين وعلى الإفهام والتفهيم، وكُلَّما كان اللسان أبْيَنَ كان أحمد، كما أنَّه كلما كان القلبُ أشدَّ استبانةً كان أحْمَدَ[٦].

شروط وصف الكلام بالبيان:

ولكى يتَّصف الكلام بالبيان لا بدَّ أنْ يجمعَ وجوهَ الحُسْنِ وأسبابَه وطُرُقَه، من سلامة النَّظم وحسنه وبهجته، وحسن موقعه فى السمع، وسهولة اللسان، ووقوعه فى النفس موقع القبول؛ بحيثُ يكونُ له من الوقع فى القلوب والتمكن فى النفوس ما يذهل ويبهج، ويقلق ويؤنس، ويطمع ويؤيس، ويضحك ويبكى، ويحزن ويفرح، ويسكن ويزعج، ويشجى ويطرب... وله مسالك فى النفوس لطيفة ومداخل إلى القلوب دقيقة[٧].

غاية البيان:

غايةُ البيان والبلاغة: قوَّة الأداء مع الصِّحَّة، وسُمُوُّ التَّعبير مع الدقَّة، وإبداعُ الصورة مع جمال الصورة[٨].

الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم
فى ضوء علم اللغة الحديث

تمهيد:

يقوم علم اللغة الحديث على دراسة اللغة دراسة علمية تقوم على دراسة حقائق النص اللغوى فى بيئته اللغوية، معتمدًا فى ذلك على مناهج محددة، يناسب بحثنا هذا منها المنهج الوصفى من خلال نظرياته: (المجال الدلالى ـ السياق بنوعيه اللغوى وغير اللغوى ـ التحليل التكوينى للمعنى)، بهدف وصف الحقائق لا فرض القواعد؛ يعنى دراسة اللغة دراسة وصفية وليست معيارية.

ويميز الدرس اللغوى الحديث بين مستويات البحث اللغوى:

- المستوى الصوتى.
- المستوى الصرفى.
- المستوى التركيبى.
- المستوى الدلالى.

ويهدف ذلك كله إلى الخروج بالبحث اللغوى من الذاتية إلى الموضوعية؛ كى يصل بالباحث إلى حقائق تُعبِّر تعبيرًا صادقًا عمَّا يتضمنه النص اللغوى من دلالات وظلال للمعانى بعيدًا عن فرض معانٍ من خارج النص اللغوى على النص، أو التكلُّف الذى يلوى عنق النص

لإثبات معنى فى نفس الباحث ولا يؤدى إليه النص، ومـن نافلـة القـول أن الدرس اللغوى الحديث له أصول تراثيـة فى ثقافتنـا العربيـة، ولـيس غريبًا على العربية.

وفـيما يـلى بيـان لظـواهر الإعجـاز فى كـل مـستوى مـن المـستويات الأربعة:

أولا: إعجاز الحرف/ الصوت المفرد:

للحرف/ الصوت المفرد فى القرآن الكـريم تفـرُّدٌ وتميُّـز، مـن حيـثُ المناسبة بين صوت الحرف المفرد ومعنى الكلمة التى هو جزءٌ منهـا، بـل يمتدُّ هذا التَّميُّز والتَّفرُّد إلى توظيف الحركـة المـصاحبة للحـرف فى بيـان المعنى المراد على نحوٍ متفرِّد.

إنَّ الإيحاء الصوتى فى القـرآن يـنهض بـه الـصوت اللغـوى وحـده، مفردًا كان أو مركَّبًا، فيصوِّر المعنى ـ الذى فى السياق ـ بدقَّـة، بحيـث لا يسدُّ آخَرُ مَسَدَّه.

- فمن الأصـوات المفـردة (الـصوائت ***Vowels***): ألـف المـدِّ ويـاء المدِّ[٩]؛ إذ لهـما إيحـاءان صـوتيان متغـايران يستـشعرهما الـسامع النابـه، أحدهما (صاعد) بألف المدِّ، والآخر (هابط) بيـاء المـدِّ، وكلاهمـا ورد فى سياق واحد، هو قوله ﷻ:

﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [ق].

فعند الوقوف فى التلاوة على لفظة (بَاسِقَاتٍ) تُـمَدُّ الألِفُ فيها سـتَّ حركات، وهو المدُّ العارض للسكون؛ لِتُصَوِّرَ هـذا الامتـداد إلى علـوٍّ فى بُسوق النخلة وارتفاعها فى الجوِّ بتلك الرشاقة الجميلـة، التـى تنتهـى فى أعلاها بذلك السعف الجميل المتهدِّل على جوانب قمَّتها من كـل جهـة، حتى إنها لتبدو كالفتاة الفرعاء.

فإذا تلا القارئ بعد ذلك لفظة (نضيد)، ووقف عـلى حـرف الـدال، استشعر السامع بهذا المدِّ الهابط (الياء) خلاف مـا استـشعره بـذلك المـدِّ الصاعد الذى قَبْلَهُ فى (بَاسِقَاتٍ)؛ إذ يستـشعر بـسمعه قبـل بـصره هـذا التنضيد الذى فى الطَّلْعِ، وقد غُطِّى بغطائه الربَّانى الجميـل ذى الرائحـة الذكية.

• ومن إيحاء الأصوات المفـردة فى تعبـير القـرآن: إيحـاء (الهمـزة)، وإيحاء (الهاء) فى سياقيهما؛ إذ ورد كـلٌّ مـنهما فى سـياق مغـاير ـ دلاليًّـا ـ لسياق الآخر، وهذا يعود إلى تغاير صفة كل منهما من الناحية الـصوتية، وإنْ كانَا من مخرجٍ واحد هو الحنجرة؛ إذ الهمزة صوت شديدٌ انفجاريٌّ، على حين عُدَّت الهاء من الأصوات الرِّخوة المهموسة الضعيفة.

• فإذا تدبَّرْنَا الكتاب المعجز المبين ـ القرآن الكريم ـ وجـدنا الهمـزة

فيه قد وردت فى سياق يوحى بالشدة والعنف، متمثِّلًا بهذا التركيب الفعلى المؤكد بالمصدر فى قوله ﷻ:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم].

ووجدنا (الهاء) قد وردت فى سياق مغاير له، بل هو مضادٌّ له دلاليًّا من حيث الإيحاء؛ إذ وردت فى تصوير ما أُمِرَتْ به مريم ابنة عمران عليها السلام: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ ﴾ [مريم: ٢٥]، حين أتاها الطَّلْق، فضاقت بذلك ذرعًا؛ إذ كيف يُولَدُ لها ولدٌ وهى لم تتزوج بَعْدُ؟ فكان النداء الذى سمعته مُطَمْئِنًا لها من ناحية، وآمرًا إياها بهزِّ جذع النخلة التى أَوَتْ إليها تستظلُّ وتَسْتَتِرُ بها بعد أن أمرها ألَّا تحزن من ناحية أخرى، وهذا مناسب لسياق اللين والحنان، وذلك بقوله ﷻ:

﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم].

فقال الله ﷻ: (هُزِّى) هنا، ولم يقل: (أُزِّى)، كما قال فى آية إرسال الشياطين على الكافرين: (تؤزُّهم)، ولم يقل: (تهزُّهم)؛ وذلك للفارق الدلالى بين السياقين: سياق الشدة والعنف، وسياق اللِّين والحنان، فى تَوَازٍ مع الفارق الصوتى بين الهمزة الشديدة المجهورة والهاء المهموسة، وهذا من رائع بيان القرآن ودلائل إعجازه.

وإذا كان إيحاء (الألف) فى فواصل آيات مريم جميلًا باعثًا على التأمُّل الـمُفْضِى إلى شكر النعمة، فإنَّ للألف فى غير هـذا الـسياق إيحـاءً آخـرَ؛ نحو قوله ﷻ:

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣ ﴾ [القيامة].

إذ نجدها فى هذا الموضع تُشْعِر بالكِبْر والاستعلاء، فى تـصوير مِـشْيَة كافرٍ من قريش، غَرَّتْهُ مظاهر الدنيا الفانية من مال وجاه وولـد؛ فإيقـاع الآية مشعر بمِشْية الكِبْر لدى هذا المشرك المتعالى، ولَكِنْ يهمُّنا كثيرًا هنـا هذه اللفظة التى وقعت فاصلة، وهى: (يتمطَّى)؛ إذ وردت لامُهـا ألفًـا، وهى الطاء الثانية فى أصل الكلمة، وأصلها: (يـتمطَّط)، ولكـنَّ التعبـير القرآنى عدل عن الطاء التـى فى آخـر اللفظـة إلى الألـف بـدلًا منهـا، لا لمجرَّد اتِّساق حروف الروى ـ كما فى الشعر ـ فيهـا مـع سـائر الفواصـل التى تَلَتْها، مثل (أَوْلَى) و(سُدَى) و(يُمْنَى) و(فَسَوَّى)[١٠].

إنَّ هذا ملحظٌ شكلى ليس هو المراد هنا، وإنْ كان له قيمتـه الـصوتية الإيقاعية المؤثرة فى نفس المتلقِّى، وإنما ورد لفظ (يتمطَّـى) معـدولًا عـن أصله الطائى (يتمَطَّطُ) إلى الألف الواقعة حـرفَ رَوِى للفاصـلة؛ إيحـاءً بتبختر صاحب هذه المِشْيَة، وإشعارًا بـما امـتلأت بـه نفـسه مـن الزهـو والـخُيَلاء الفارغيْن مـن بواعـث الحـق والخـير؛ إذ معنـى (يتمطَّـى) فى

اللغة: يتبختر، وأصله: يتمطَّطُ؛ أى: يتمـدَّد؛ لأنَّ المتبخـتر يمـدُّ خطـاه، وقيل: هو من المطا، وهو الظَّهر؛ لأنه يلويه عند سيره[١١].

ويهمُّنا هنا كيف رَسَمَ المـدُّ الـصوتى بـالألف هـذه المـشية المكروهـة المنهى عنها، فإذا قرأنا (يتمطَّى) بأداء صوتى دقيق فى التجويد، فأعطينـا الطاء الـشديدة المطبقـة المكـررة بالتـشديد حقهـا مـن الأداء الـصوتى، وأتبعناها مَدَّة الألف واقفين عليهـا ـ حاكـت الـصورةُ الـصوتيةُ بـذلك تلك المشية الممقوتة، مشية التلوِّى صعودًا إلى الأعلى ونزولًا؛ وذلك مـن التصوير الفنى فى القرآن عن طريق الإيحاء الصوتى، مـضافًا إلى الدلالـة اللغوية الأصلية للفظة، التى تعرفها العرب فى تحاورها.

• ومن الإيحاء الصوتى الإفـرادى: المـدُّ بـالألف الــمُوحِى بالنـدم والتوجُّع النفسى، فى مثل قول الكافر فى يـوم القيامـة، وقـد وقـف بـين يدى ربه للحساب:

﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦].

وهذا مشعر صوتيًّا بتوجُّعه وندمه بهذين المدَّيْنِ اللَّذَيْنِ اكتنفا التعبـير، وهما مدُّ (يا) ومدُّ (تا)، مضاعِفًا إحساس المتلقِّى بندم المُلْقَى المرير، فضلًا عمَّا فى نداء الحسرة بحرف النداء (يا) من تـشخيص اسـتعارى للحـسرة، حين جعلها تُنَادَى كما يُنَادَى العاقل، وهذا من بليغ بيان لغة التنـزيل.

• ومن الإيحاء الصوتى بالشعور بالندم: ما تحدثه (هاء السكت) فى قول من فَرَّطَ فيما ينبغى عليه أداؤه إزاء ربِّه وأهله؛ قال الله ﷻ:

﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨ ﴾ [الحاقة].

فهذه الهاء إذا وَقَفَ عليها القارئ أشبهت الحسرة فى انطلاقها من صدر المتحسِّر لندمه.

• وليس التفرُّد والتميُّز للصوت/ الحرف المفرد فقط، بل المدهش حقًّا هو تميُّز وتفرُّد المناسبة بين الحركة والمعنى، على نحو ما نجد فى الأمثلة الآتية:

- تدبَّر الفتحتين (التنوين) فى كلمة (عيونًا) فى قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ ﴾ [القمر]، فإنك تجد المناسبة بين الفتحتين فى كلمة (عيونًا) وبين حركة الماء المتفجِّر إلى أعلى من باطن الأرض.

- وفى المقابل تدبَّر الكسرتين (التنوين) فى كلمة (منهمرٍ) فى قوله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ ﴾ [القمر]، تجد المناسبة بين الكسرتين وبين حركة الماء المنهمر من أعلى إلى أسفل.

- ومن المناسبة والتناسق بين نوع الحركة والمعنى ما نجده فى قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ

لَهُۥ﴾ [فاطر: ٢]، وبتأمل حركة الكاف فى كلمة (يمسك) فى الآيـة نجـد أن السكون فى الثانية موافق لمعنى الإمـساك؛ لمـا لهـا مـن إغـلاق وعـدم حركة، فى حين أن الأُولى (ممسك) مفتوحـة، وهـى مناسـبة لمعنـى فـتح الرحمة من الله تعالى.

– أيضًا قول الله تعـالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحـة: ٢]، الجملـة تُعـدُّ من مقول القول، فكان مقتضاها: (الحمـد) بفـتح الـدال، عـلى تقـدير: أقول: الحمدَ لله، فلماذا عُدِل عن النـصب إلى الرفـع، عـلى تقـدير قـولى: الحمدُ لله؟

الجواب: عُدِل عن النصب إلى الرفع للدلالة على أن الحمـد ثابـت لله تعالى أزلًا، وإن لم يحمده أحدٌ؛ فقد حمد نفسه بنفسه قبل أن يحمده الخلق، وعليه، فالجملة خبرية ـ لا إنـشائية ـ لفظًـا ومعنًـى، وهـو أولى الأقـوال وأفصحها فى هذه الجملة.

– أيضًا قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤]، التـشديد فى (يذبِّح) فيه دلالة على الكثرة والعنف والقسوة فى حـدث الـذبح، الـذى يعبِّر عن جحود قلب فرعون فى تعذيب من خالفـه مـن قومـه؛ ولـذلك جاءت على التشديد بدلًا من (يذبح) بدون تشديد[١٢].

- ومن التناسق الصوتى المتفرِّد فى القـرآن والـذى يعـبِّر عـن قيمـة

دلالية ما نجده فى كلمة (ضُر) و (ضَر) فى السياقات المتنوعة فى القـرآن، فإذا جمع بين النفع والضَّر فى آية واحدة فُتِحت الضاد؛ للتناسق الـصوتى بين النفع والضَّر؛ ولأن الضر بالفتح ضد النفع، فى حين إذا أفـرد الـضُّر ضُمَّت الضاد، والضر بالضم معناه: الهزال وسوء الحال، وكـل مـا كـان من سوء حالٍ وفقرٍ أو شدة فى بدنٍ فهو ضُرٌّ، وما كـان ضـد النفـع فهـو ضَرٌّ، وتكررت كلمة (الضر) بالضم تسع عشرة مرة؛ منها:

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ [يونس: ١٢].

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ [يوسف: ٨٨].

وتكررت كلمة (الضر) بالفتح فى القرآن الكريم عشر مرات؛ منها:

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة].

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

- وقد يكون الإيحاء الصوتى فى تعبير القرآن الكريم مقطعيًّا ولـيس

إفراديًّا، كالذى فى لفظة (دَمْدَمَ) فى قوله ﷻ:

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴿١٤﴾﴾ [الشمس].

حين عقروا ناقةَ الله التى أُمِروا بـألَّا يمسُّوها بسوء فغضب الله ﷻ عليهم، فدمَّر قريتهم، فجاء التعبير بهذا اللفظ: (دَمْدَمَ)، بدلالة مزدوجة، إحداهما (لغوية)، وهى الأصلية، أو كما يسمِّيها المعاصرون: (مركزية) أو (أساس)، والدلالة الأخرى (إيحائية)، وهى لون من الدلالة الثانوية، أَحْدَثَها إيقاع اللفظة.

وأمَّا وصف هذه اللفظة (دَمْدَم) بأنها مقطعية؛ فلأنَّها ذات مقطعين متماثلين هما: (دَمْ/ دَمْ)، فلمَّا الْتَأَمَا فى اللفظة مكرَّرَيْنِ أشعر جَرْسُهما المدوِّى بما يشبه القصف: (دَمْدَمَ)، وهذه الدلالة الإضافية صَعَّدَت استشعار الشدَّة والغضب فى تصوير هذه العقوبة الإلهية العادلة، بمن لم يَرْعَ لله حُرْمَتَه، ومِثلُه فى (زُلْزِلَتْ).

ثانيًا: إعجاز الكلمة القرآنية:

١. أصوات الكلمة القرآنية:

تتآلَف الأصوات وتتناغم على مستوى الكلمة القرآنيَّة تآلُفًا تفرَّدتْ به، وفى هذا السياق المعجز اختفتْ ـ بطبيعة الحال ـ ما تعانى منه الكلمة خارج القرآن الكريم من تنافُر أصواتها أحيانًا، لقد نَحَّى القرآن الكريم

عن العربية التقعُّر فى الكلام والألفاظ الحوشيَّة الثقيلة على السمع، على نحو ما نرى فى كلمات: "جحيش"، و"مستشزرات"، و"جحلنجح"، و"البخصات"... إلخ.

من ذلك أيضًا ما روته كتب اللغة لأبى محلِّم فى أواخر القرن الثانى من كتاب له إلى بعض الحذَّائين فى نعل، قال هذا المتقعِّر: «دِنْها، فإذا هَمَّتْ تأتدن، فلا تُخَلِّها تَمْرَخِدُّ، وقَبْلَ أن تَقْفَعِلَّ، فإذا اتَّدَنَتْ فامْسَحْها بخِرْقَةٍ غير وَكِبَةٍ ولا جَشِبةٍ، ثم امْعَسْها مَعْسًا رَقيقًا، ثم سُنَّ شفْرَتَكَ وأَمْهِهَا، فإذا رأيت عليها مثل الهَبْوة فسُنَّ رأس الإزميل، ثمَّ انْحُها فكوِّفْ جوانبها كَوْفًا رَفيقًا وأقْبِلْها بقِبَالَيْنِ أَخْنَسَيْنِ أفْطَسَينِ غيْر خَطِلَين ولا أصْمَعَيْن، وليكونا من أديمٍ صافى البشَرة غيْرِ كَدِشٍ ولا حَلِمٍ ولا نَمشٍ، وأشْخِصْ فى مُقَدِّمها مثلَ مِنْقار النُّغَر[١٣]!!

وانظر قول القائل:

فاحذَرْ ولا تَكْتَرْ كَرِيًّا أعْوَجَا

عِلْجًا إذا ساق بنا عَفَنْجَجَا[١٤]!

وتأمَّلْ تكرار صوت الكاف والعين والجيم على مسافات متقاربة؛ مما يثْقُل على السمع واللسان، حتى يضيق به الناطق ويَمَجّه السامع

وتَنْبُو عنه القلوب.

وإليك مثالًا مما أورده صاحب "نظام الغريب فى اللغة" لكلمة معروفة للعرب قاطبة هى "اللبن"، ومن مرادفاتها:

لبن أُمْهُجانٌ، وأُمْهَج بالفتح وأُمْهُوج أيضًا: اللبن الخالص. والماضر: اللبن الحامض ومنه سُمِّيَت المضيرة، ومثله الخاثر. والضَّيَاح: اللبن الممزوج بالماء. والرِّسْل: اللبن الحليب نفسه. والمذيق: اللبن الممزوج بالماء، والصريح الخالص منه. والعُجَالِط والعُجَلِط: الرائب الغليظ. والرُّوبة بغير همز: اللبن الحامض الذى قد رُوِّبَ به الحليب. والعَكِيُّ بتشديد الياء: اللبن الحامض. والهُجْمة والهَجِيمة: اللبن قبل أن يحمض. والحاذر: اللبن الحامض، فإذا تقطَّعَ وصار اللبن ناحية والماء ناحية فهو مُمْذَقِرٌ، فإن تكبَّدَ بعضه على بعض وحمض فلم يتقطع فهو إِذْك. والعُثَلِط والهُدَبِد: ما خَثَر منه وتلبَّد. والصَّقْر: أحمض ما يكون من اللبن، فإذا صُبَّ عليه حليب فهو الرَّائثة والمُرِضَّة. والعكيس: اللبن الحليب يُصَبُّ على مَرَق. والنَّخِيسة: لبن الضأن يُصَبُّ على لبن المعز. والصَّحيرة: الحليب المسخن حتى يحترق. والسَّمْهَج والسَّمْلَج: اللبن إذا كان حلوًا دسمًا. والمِلْعاز والمِلْهاز: اللبن يختلط بعضه ببعض عند المخضِّ. والصَّرْب والصَّرَب: أحمض ما يكون من اللبن. والسَجَاج: أَرَقُّ ما

يكون من اللبن، والْمَهْو والمسْجُور مثلـه. والـنَّسْء: الحليـب إذا مـزج بالماء، والنَّسِى مثله(١٥).

بينما اكتفى القرآن بكلمة واحدة هى (اللـبن)، ولا عجـب أن غابـت كل تلك الكلمات الغريبة عن واقع الاستعمال اللغوى، وبقيـت الكلمـة القرآنية؛ لقد كان القرآن بمثابة غربال لأصـوات العربيـة، ومـصفاةً لهـا أخرجت منها ما ينبو عنه السمع وما يثقل على اللسان، والنـاظر فى هـذا الكتاب الكريم يجد بين دفتيه أمثلة ناصـعة للنقـاء الـصوتى والـسلاسة وتجسيد المعنى عن طريق الصوت بصورة متميزة، بـل ومتفـردة لا نجـد لها مثيلًا فى أرقى مستويات الفصاحة اللغوية لهذه اللغة.

كذلك نَحَّى القرآن الكريم كثيرًا من الألفاظ التى تعبِّر عـن معـانٍ لا يُقِرُّها الإسلام، من ذلك:

- «المِرْباع»: وهو ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية.
- «النشيطة»: وهى ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى القوم، أو مـا يغنمه الغزاة فى الطريق قبل بلوغ الموضع المقصود.
- «المكس»: وهى دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسـواق الجاهلية.

وفى هذا سُمُوٌّ لغوىٌّ يتوازى مع السُمُوِّ الخُلُقِى الذى أَتَـى بـه القـرآن

الكريم، وسبحان من هذا كلامه!

٢. النظم الصوتى للكلمة القرآنية:

النظم الصوتى للكلمة القرآنية متفـرِّدٌ معجـزٌ فى تعبـيره عـن المعنـى المراد، على نحو ما نجد فى الكلمات الآتية:

- **يصطرخون**؛ قال تعالى:

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر].

فكأن ارتفاع الصوت بالصراخ ومشاركتهم جميعًا فيه، وتكرار ذلـك منهم لا يكفى أن يُعبَّر عنه بالفعـل المجـرد (يـصرخون)، فجـاءت تـاء الافتعال لتدل عـلى المبالغـة، ولإشـباع معنـى الـصراخ ودلالـة ارتفـاع الصوت تحوَّلت التاء إلى الطاء المفخَّمة؛ ليكون فى تفخيمها زيادة مبالغـة فى المعنى.

- **واصطبر**؛ قال تعالى:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه].

فالتعبير عن قوة التحمُّل وسعة الصدر والحلـم مـع الرفـق لا يكفيـه

التعبير بـ (اصبر)، ولا بزيادة تاء الافتعال (اصتبر ـ افتعل)، بل للمبالغة فى قوة الصبر فى أعلى درجاته حوَّل التاء المرقَّقة إلى الطاء المفخَّمة لتكون (اصطبر).

واصطبر الشخص: صبَر وانتظر فى هدوء واطمئنان دون شكوى، فالاصطبار: شدة الصبر على الأمر الشاق؛ لأن صيغة الافتعال تأتى لإفادة قوة الفعل، وتحوُّل التاء إلى الطاء المفخَّمة فيه زيادة مبالغة فى المعنى.

- **تصطلون**؛ قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [القصص].

تصطلون من مادة (صَلِى)، واصطلى النار استدفأ بها من البرد، والطاء فيه مبدلة من تاء الافتعال للدلالة على شدة الحاجة إلى النار لما أصابهم من شدة البرد؛ فالاصطلاء: الدنو من النار لتدفئة البدن عند شدة الشعور بالبرد الشديد.

- **اصطفى**؛ قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ

بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ [الحج].

يصطفى من مادة (صفو)، واصطفى فلانًا: اختاره وفضَّله، وهو مأخوذ من الصفو أو الصافى؛ أى الشىء الخالص من الكدر ومما يشين، لذلك حُوِّلت التاء إلى طاء للدلالة على دقة التحرِّى فى الاختيار والتفضيل.

- **نضطرهم**؛ قال تعالى:

﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [لقمان].

نضطرهم من مادة (ضرر)، والاضْطِرار: الاحتياج إلى الشىء، وهو من الضرورة، والمراد بالاضطرار: الإلجاء والقسر والإلزام.

والاضْطِرار على وزن افتعال، فَجُعِلَت التاءُ طاءً؛ لأَنَّ التاءَ لم يَحْسُنْ لفْظُه مع الضَّادِ، وهذا من باب التناسق الصوتى، وسبب دلالى آخر هو التعبير عن قوة معنى الاضطرار.

- **مطلعون**؛ قال تعالى:

﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الصافات].

مطلعون من مادة (طلع)، والطِّلْع بالكسر اسم من اطَّلَعَ (افتعل) من طلع للمبالغة فى حصول فعل الطلوع وهو الارتقاء، ولذلك يقال لمكان الطلوع: مطلع بالتخفيف ومطلع بالتشديد، ومن أجل هذا أُطلق

الاطلاع على الإشراف على الشىء؛ لأن الذى يروم الإشراف على مكان محجوب عنه يرتقى إليه من علوٍّ، فالأصل أن فعل "اطلع" قاصر غير محتاج إلى التعدية.

وقَوْله تَعالى: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾، فاطَّلَعَ بتشديدِ الطاءِ وفتحِ النونِ، وهى القراءة الجيِّدة الفَصيحة؛ أى هل أنتُم تُحِبُّون أن تَطَّلِعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار(١٦).

- **القصاص**؛ فى قوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ذكر السيوطى فى "الإتقان" عن الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾، وبين المثل العربى: "القتل أَنْفَى للقتل" عشرين وجهًا تمتاز بها العبارة القرآنية، من ذلك:

- أن فى المثل توالى أسباب كثيرة خفيفة، وهو السكون بعد الحركة، وذلك مُستكرَه.

- سلامة الآية من تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة وبعدها غُنَّة النون (كما فى المثل).

- اشتمال الآية على حروف متلائمة، لما فيها من الخروج من القاف

إلى الصاد؛ إذ القاف من حروف الاستعلاء والإطباق، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التى هى حرف منخفض، فهو غير ملائم للقاف، وكذا الخروج من الصاد إلى الخاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة؛ لبُعْد ما بين طرف اللسان وأقصى الحنك.

- سلامة الآية من لفظ (القتل) المُشعر بالوحشية، بخلاف لفظ (الحياة)؛ فإن الطباع أميل له من لفظ (القتل)(١٧).

- **ضيزى**؛ فى قوله ﷻ:

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النجم].

و(ضيزى) تعنى: جائرة ظالمة، لكن لفظ (ضيزى) جاء هنا ليحقِّق غرضين هما: رعاية الفاصلة التى غلبت فيها الألف المقصورة، وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير فى: "المثل السائر" (١٨)، والثانى: الإيحاء -بما فى الضاد من تفخيم- إلى أن الجور فى هذه القسمة لا مزيد عليه؛ فهناك مناسبة بين اللفظ والمعنى والسياق الذى ورد فيه، وإلى هذا ذهب مصطفى صادق الرافعى(١٩).

ولفظ (ضيزى) فى هذا الموضع لا يَسُدُّ مَسَدَّه غيرُه؛ لأن السورة كلها مجموعة على الألف المقصورة من أولها إلى آخرها؛ لذا جاءت السورة جميعها عليه.

على أن كلمة (ضيزى) من الألفاظ المتفردة فى تركيبها أيضًا؛ إذ لـيس فى كلام العرب صفة على وزن (فِعلى)، قـال الجـوهرى: لـيس فى فِعْـلَى صفة، وإنما هو من بناء الأسماء كالشِّعْرَى والدِّفْلَى[٢٠].

- ومن التناسق بين إيحاد الصوت ومعنى الكلمة قوله تعالى:

﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الإنسان].

حيث يوحى لفظ (سلسبيل) بالسلاسة والسهولة ويسر الاستساغة؛ وذلك لما بين اللفظين (سلسبيل ـ سلاسة) من شركة فى بعض الحروف.

هذا فى مقابل الإيحاء فى جهة الضد للمعنى السابق، كما فى قوله ﷻ:

﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [النبأ].

حيث إن مادة (غسق) فى القرآن منها: الغـسق والغاسـق والغـساق ـ توحى أن القسط المشترك بين هذه المشتقات: الدلالة عـلى أمـور كريهـة؛ فالغسق: الظلمة، والغاسق: الليـل الـشديد الظلمـة، والغـساق: شـىء كريه لا يشرب، وفسَّروه بالصديد، وتستفاد هذه الدلالة لغويًّا من إيحـاء الغين والقاف هنا، ومثله فى التفسير قوله تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [المطففين].

﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الغاشية].

والضريع: نباتٌ شوكيٌّ، وإيحاء لفظ (ضريع) فى الطعام يفيد ذلًّا يؤدى إلى تضرع كلٍّ منهم وسؤال الله العفو عن ذلك، يقابله فى المعنى على الجهة الأخرى قوله تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ ﴾ [المطففين].

﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴾ [يوسف: ٥١] (٢١).

٣. الوزن الصرفى للكلمة القرآنية:

أ- اليسر والسهولة:

إن نظرة إلى قوائم جذور القرآن تثير مجموعة من الملاحظات المهمة:

أولها: أن القرآن قد استعمل جذورًا ثلاثية، وغير ثلاثية، غير أن الثلاثية أغلب؛ فمجموعها ألف وستمائة وستة عشر جذرًا ثلاثيًّا، فى حين أن ما فوق الثلاثى بلغ سبعة وأربعين جذرًا، أكثرها رباعى.

ومعنى ذلك أن لغة القرآن تعتمد على استخدام الجذور الثلاثية أساسًا، وهو ما يدلُّ على طبيعة اللغة العربية؛ فالأصل أنها دائمًا ذات طابع ثلاثى، وإنما يأتى ما فوق الثلاثى فى المرتبة الثانية، وقد اقتصد القرآن فى استخدام هذا النوع، رغم أنه وفير فى العربية؛ حتى إن نسبة استخدام ما فوق الثلاثى إلى الثلاثى لا تزيد عن (٢,٨٥٪)، وهذا

جدول يلخِّص ما نودُّ أن نقوله[٢٢]:

المصدر	الثلاثى	الرباعى	الخماسى	المجموع	ملاحظات
معجم تاج العروس	٧٥٩٧	٤٠٨١	٣٠٠	١١٩٧٨	نسبة الجذور القرآنية إلى جذور اللغة عامة: ١٣,٨٧٪
القرآن	١٦١٦	٤٥	١	١٦٦٢	

والجذور الرباعية هى الغالبة فيما فوق الثلاثى؛ إذ بلغت عدتها خمسة وأربعين جذرًا، وأما الخماسى فهو جذر واحد فى كلمة (سلسبيل)[٢٣]، وهذا يؤكد اختيار القرآن لليسر والسهولة فى الوزن الصرفى للكلمة القرآنية.

ب- دقة الكلمة القرآنية فى التعبير عن المعنى:

وأشار إلى هذه الخصوصية الراغب الأصفهانى فى مقدمة كتابه: "مفردات غريب القرآن"، وكذلك أشار إليها ابن عطية الأندلسى فى مقدمة تفسيره: "المحرر الوجيز" فقال: "ووجه إعجاز القرآن أن الله قد أحاط بكل شىء علمًا، وأحاط بالكلام كله علمًا، فإذا تَرَتَّبَت اللفظة من

القرآن عَلِمَ بإحاطته أيَّ لفظة تـصلح أن تـلى الأولى وتبـيِّن المعنـى بعـد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره... ويظهر لـك قـصور البـشر فى أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيهـا جهـده، ثـم لا يزال ينقِّحها حولًا كاملًا، ثم تُعطَى لآخر نظيره، فيأخذها بقريحـةٍ جامَّـةٍ مستريحةٍ، فيُبدِّل فيها ويُنقِّح، ثـم لا يـزال كـذلك فيهـا مواضـع للنظـر والبَدَل... وكتاب الله لو نُزِعَت منه لفظة ثـم أُدِيـر لـسان العـرب فى أن يُوجِد أحسن منها لم يوجد..." (٢٤).

وأعقِّب فأقول: بل لا يُمكن أنْ تُستَبْدَلَ كلمةٌ فى سياقها بأخرى مـن خارج القرآن الكريم أو حتى من القرآن الكريم نفسه.

لقد جاء الاستعمال القرآنى للكلمة مُعجزًا فى دقَّة التَّعبير عـن المعنـى دون زيادة أو نقصان وعلى نحو متفرِّد، ومن أمثلة هذا فى القرآن:

- **إبليس ـ الشيطان:**

بتدبُّر آيات سورة طه التى تبيِّن كيف بدأ الـصراع بـين إبلـيس وآدم، يظهر لنا أن الآيات ذكرت اسم إبليس، وذلك في قول الله تعـالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ [طـه]، ثـم تحولـت إلى اسـم آخـر لـه، وهـو "الـشيطان" في قـول الله تعـالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ

لَا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه]ـ لغرضٍ دلاليٍّ يمكن استنباطه من السياق.

إن أصل مادة كلمة "إبليس" تدور حول الرفض؛ فكانت التسمية مُطابقة تمامًا للدلالة، فإبليس هو الرافض لأمر الله تعالى، وتمضى بنا الآيات بعد ذلك لتصل بنا إلى موقف آخر لإبليس يضيف فيه إبليس إلى رفض السجود القيامَ بإغواء آدم وإغرائه بالأكل من الشجرة، وحينئذٍ يطلق عليه اسم "الشيطان".

وهكذا جاءت كلمة (شيطان) فى القرآن للدَّلالة على كُلِّ مَن يُغْوى غيرَه ويقوده إلى الضَّلال والفساد، إنْسًا كانَ أو جنًّا، كما فى قول الله ﷻ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا ﴾ [الأنعام: ١١٢].

﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان].

بينَما جاءت كلمة (إبْليس) عَلَـمًا على كبير الشَّياطين لعَنَه الله فى مواقف الرفض للسجود، كما فى قوله ﷻ:

﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الإسراء].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف].

إن القرآن الكريم يميِّز بين الأبنية الصرفية المتشابهة، فيفرِّق فى الدلالة بين صيغ الفعل، وصيغ المصدر، وصيغ المشتقات، وصيغ الجموع، وبين الجمع والإفراد.

وهذه الدقة وهذا الإحكام لا يوجد فى غير القرآن الكريم، وهذه بعض الأمثلة لكل نوع من أنواع الأبنية الصرفية المشار إليها:

١ ـ اختلاف صيغة الفعل:

- **بَعُدَ ـ بَعِدَ:**

لم تُفَرِّق المعاجم اللغوية بين الفعلين؛ قال ابن فارس: "البُعْدُ خلاف القُرْبِ، والبُعْدُ والبَعَدُ: الهلاك. وقالوا فى قول الله تعالى: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ [هود]؛ أى: هَلَكت، وقياس ذلك واحد"[٢٥]، يريد: أن الهلاك بُعْدٌ للهالك.

وفى اللسان: "البُعْدُ: خلاف القرب، بَعُدَ الرَّجُلُ (بالضمِّ)، وبَعِدَ (بالكسر) بُعْدًا وبَعَدًا، فهو بعيد(٢٦).

وقد ورد كُلٌّ من الفعلين فى موضع واحد من القرآن الكريم؛ فالمضموم العين فى قول الله ﷻ:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ [التوبة: ٤٢].

وورد الفعل المكسور العين ومصدره فى قوله ﷻ:

﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود].

فعبَّر القرآن عن البُعْدِ فى المسافة بالفعل المضموم العين (بَعُدَ)، بينما عَبَّر عن الهلاك بالفعل المكسور العين (بَعِدَ).

قال الزمخشرى: المعنى فى البناءين واحد، وهو نقيض القرب، إلَّا أنهم أرادوا الفصل بين البُعْدِ من جهة الهلاك وبين غيره فغيَّروا البناء كما فرَّقوا بين ضمان الخير والشرِّ فقالوا: وَعَدَ، وأَوْعَدَ(٢٧).

ونقل أبو حَيَّان كلام الزمخشرى وغيره، ومحصِّله أن أكثر استعمال (بَعُدَ) بضم العين فى التعبير عن البعد فى المسافة، وأكثر استعمال (بَعِدَ) بكسر العين فى التعبير عن الهلاك(٢٨).

ومراعاة القرآن التفرقةَ بين معنى الفعلين عن طريق الصيغة

الصرفية، هو الأسلوب الأمثل فى التعبير اللغوى، على عادة القرآن الحكيم فى ذلك.

ومثل ذلك استعمال الفعلين (قَسَطَ ـ أَقْسَطَ) والوصف منهما (قاسط ـ مُقْسِط)، فالمجرد بمعنى الظلم والجَوْر، والمزيد بالهمز بمعنى العدل؛ قال الله ﷻ:

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٥﴾ [الجن].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٤٢﴾ [المائدة].

- **تَبِعَ ـ اتَّبَعَ:**

قال الله ﷻ:

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة].

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣﴾ [طه].

فى آية البقرة جاء الفعل المجرَّد (تَبِعَ) وهو يدلُّ على مجرد الوصف بالاتِّباع، أما فى آية طه فاقتضى السياق أن يُستَعْمَل الفعل المزيد (اتَّبَعَ) بوزن (افْتَعَلَ) وهو يفيد التجدُّد والتكلُّف ـ أى وجود مشقة فى الفعل ـ

وذلك لأن الآية فى سورة طه جاءت عقب ذكر عداوة إبليس لآدم ﷺ؛ فناسب ذلك تجديد الاتِّباع للهدى والاجتهاد فى بلوغه، وعُبِّر عن ذلك بالفعل المزيد (اتَّبع) الدالِّ على التجديد والقوة والقصد.

- **شَرَى ـ اشْتَرَى:**

تدور مادة (ش ر ى) فى اللغة حول معنى: المماثلة بين أمرين أخذًا وعطاءً(٢٩)؛ ولما كان البيع والشراء يتلازمان فقد استعمل الشراء بمعنى البيع، كما استعمل البيع بمعنى الشراء(٣٠).

ولذا يُستعمل الفعلان (شَرَى ـ اشْتَرَى) تارةً بمعنى أخذ الشىء، وتارة بمعنى دفع الثمن.

لكن الاستعمال القرآنى الكريم فرَّق بين الفعلين؛ فخصَّص الصيغة المجردة (شَرَى) فى معنى: باعَ الشىءَ وأَخَذَ الثمن، كما فى الآيات الآتية:

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ

لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [النساء].

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ [يوسف: ٢٠].

فقوله ﷻ: ﴿ شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ معناه: باعوها[٣١].

وقوله ﷻ: ﴿ يَشْرِى نَفْسَهُ ﴾ معناه: يبيعها[٣٢]؛ أى يبذلها فى رضا الله ﷻ.

وقوله ﷻ: ﴿ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ معناه: يبيعونها ويُؤْثِرون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها[٣٣].

وقوله ﷻ: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ ﴾؛ أى: باعوه[٣٤].

أما الفعل المزيد بتاء الافتعال (اشترى) فقد تكرَّر فى القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، وكان بمعنى الشراء فى هذه المواضع كلِّها، ومن ذلك الآيات الآتية:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٦].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ﴾ [يوسف: ٢١].

والشراء هنا هو أخذ الثمن مقابل الشىء، سواء أكان هذا الثمن ماديًّا كما فى آية يوسف رقم (٢١)، أو معنويًّا كما فى سائر المواضع الأخرى[٣٥].

ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى غاير بين دلالتى (شَرَى ـ اشْتَرَى)، فجاءت الصيغة المجردة بمعنى البيع، والصيغة المزيدة بمعنى الشراء.

- **اسْتَطَاع ـ اسْطَاع:**

ورد هذا الفعلان فى آية واحدة هى قول الله ﷻ:

﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الكهف].

وإيثار صيغة (اسْتَفعل/ اسْتَطاع) مع النقب؛ لدلالة الصيغة بتمامها على الطلب والمحاولة، فهم وإن كانوا عاجزين عن نقب السَّدِّ، إلا أنهم

يحاولون غير يائسين من نقبه.

أما صيغة (اسْطاع) بحذف التاء، ففيها إيحاء بـالعجز التـام واليـأس حتى من مجرد محاولة تسلُّق السد والصعود عليه.

كما أن فى المخالفة بين اللفظـين المتجـاورين مراعـاةً لجـرس الكـلام ونغمه، وهى سمة جمالية من خصائص التعبير القرآنى الذى تتعانق فيـه الأصوات والتراكيب والـدلالات وتتـآزر لأداء المعنـى عـلى أدق وجـه وأكمل صورة.

- **فَسَحَ ـ تَفَسَّحَ:**

صيغة الفعل المجرد (فَسَحَ) تـدل عـلى الإطـلاق، فمعنـى (فَـسَحَ): أَوْسَعَ، بينما تدلُّ الصيغة المزيدة بالتـاء وتـضعيف العـين عـلى التكلُّـف، فمعنى (تَفَسَّحَ): تكلَّفَ ذلك.

وقد ورد الفعلان فى آية واحدة من القرآن الكريم، هى قول الله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [المجادلة: ١١].

فكلمة (تفسَّحُوا) معناهـا: أن يفـسح بعـضهم لـبعضٍ ويُوجِـد كـلٌّ منهم فُسْحةً لغيره فى المكان، وذلك بالتضامِّ والتقارُب.

أمَّا الفعل (افْسَحُوا) فهو أمرٌ من الثلاثى المجرَّد (فَسَحَ)، ولـيس فيـه

معنى التكلُّف، بل هو فَعْلُ ذلك دون تكلُّف أو إبداءٍ لمشقَّة ذلـك؛ ولـذا جُوزِىَ مَنْ يستجيب ويُوسِع لغيره بالسَّعة مـن الله ﷻ، وهـى مطلقـة فى الرزق والعلم والقلب والقبر وغير ذلك[٣٦].

ونخلص من ذلك إلى أن الفعل المزيد (تَفَسَّحَ) فيـه تكلُّـف وشـعور بالمشقة، أما الفعل المجرد ففيه إطلاق، وأداء للفعل دون إبداء تكلُّـف أو شعور بالمشقة.

- كَسَبَ ـ اكْتَسَبَ:

تدور مادة (ك س ب) حول معنى: جلب النفع من مـال وغـيره، أو تحصيل ما هو مَظِنَّـةٌ للنفع.

والكسْبُ: تحصيل ذلك، كما فى قول الله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة: ٦٧].

وقد يستعمل الكسْبُ فى السيىء، كما فى قوله ﷻ:

﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩ ﴾ [البقرة].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ۝١٢٠ ﴾ [الأنعام].

والاكتساب: جاء على صيغة الافتعال الدالة على شدة الطلب، وقد غلب استعماله فى الشرِّ والسَّيِّئ؛ لأن صيغة الافتعال تدل على المحاولة والاجتهاد فى الطلب، والنفوس تنجذب إلى شهواتها السيئة، فعُبِّر عن ذلك بصيغة الافتعال، ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ أى: لها عملها الصالح وعليها عملها السيئ.

وقد يُسْتَعْمَل الاكتساب فى معنى الخير كما فى قوله ﷻ:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء: ٣٢].

ولكن يبدو أن الكسب لا يُستعمل إلَّا فى الخير، وأما الآيات التى ورد فيها بمعنى السيئ؛ فلأن من يكسب سوءًا أو إثمًا يظن فى ذلك خيرًا وتحصيل نفع، كما غلب استعمال الاكتساب فى الشَّرِّ.

وباستقراء الآيات القرآنية التى ورد فيها لفظ الاكتساب، لا نجده ورد بمعنى كسب الحسنات؛ ولم يعبِّر القرآن عن الحسنات والصالحات إلا بلفظ (كسب).

وأمَّا استعمال القرآن للفعل المجرد (كَسَبَ) فى المعاصى والسيئات فهو على معنى التعوُّد؛ فالعاصى قد اعتاد العصيان، فناسَبَه أن يُسْنَد إليه

الفعلُ بصيغته المجردة (كَسَبَ)، أما الصيغة المزيدة (اكتسب) فتدل على بذل الجهد، فناسب استعمالها فى معنى الاجتهاد فى تحصيل النفع أو ما هو مَظِنَّة النفع وإن كان شرًّا.

٢ ـ اختلاف صيغة المصدر:

- **البَأْس ـ البَأْسَاء:**

تدور مادة (ب أ س) فى اللغة حول معنى الشِّدَّة، من فقر وخوف وجوع وحرب(٣٧).

ولم تُفرِّق المعاجم اللغوية بين البأس والبأساء، وجعلهما الراغب الأصفهانى أيضًا بمعنى واحد، قال: "البُؤْس والبَأْس والبَأْساء: الشِّدَّة والمكروه، إلَّا أن البُؤْسَ فى الفقر والحرب أكثرُ، والبأسَ والبأساءَ فى النِّكاية"(٣٨).

ولكن ورود اللفظين (البَأْساء، البَأْس) معطوفين فى القرآن الكريم يقتضى تغايرهما، وذلك كما فى قول الله ﷻ:

﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والذى نُرَجِّحه ما ذهب إليه أكثر المفسِّرين، وهو أن: البَأْساء: الفقر، والضَّرَّاء: المرض، والبَأْس: القتال. وهذا من باب الترقِّى فى الصبر من الشديد إلى الأَشَدِّ، فذكر أولًا الصبر على الفقر (البَأْساء)، ثم الصبر على

المرض (الضرَّاء)، وهو أشدُّ من الفقر، ثم الصبر على القتال (البَأْس)، وهو أشَدُّ من الفقر والمرض[39].

ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (البَأْس ـ البَأْساء) متقاربان فى الدلالة؛ حيث يشتركان فى معنى الشدَّة والمكروه.

ويتميَّز لفظ (البَأْساء) بنوع من الشدة هى شدة الفقر، بينما يتميَّز (البأس) بنوع من الشدة هى شدة القتال والعذاب والنكال.

- **سِخْرِيًّا ـ سُخْرِيًّا:**

كلا اللفظين يجمعهما أصلٌ دلالىٌّ واحدٌ هو (س خ ر)، ولم يفرِّق اللغويون بينهما، حيث جعلوهما اسمًا من سَخِرَ كالسُّخْرِيَة[40].

وقد وردت كلمة (سِخْرِيًّا) ـ بالكسر ـ فى القرآن الكريم مرتين [41]، فى الآيتين الآتيتين:

﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي ﴾ [المؤمنون: ١١٠].

﴿ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ ﴾ [ص].

ذهب الخليل وسيبويه إلى التسوية بين ضم السين وكسرها فى (سِخْرِيًّا)، وذهب الكسائى والفراء إلى أن كسر السين معناه الهُـزْء، (أى السُّخْرَية)، وضم السين معناه السُّخْرة؛ أى العبوديَّة[42].

وإلى مثل ذلك ذهب القرطبى[43] وأبو حيان[44].

وأجمع القُرَّاء على ضم السين فى قول الله ﷻ:

﴿ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وإجماع القراء على ضم السين هنا يُرَجِّح أن هناك فرقًا بين الكلمة مضمومة السين ومكسورة السين على نحو ما بينَّا.

ونخلص مما سبق إلى أن الكلمتين وإن تقاربَتَا صوتيًّا وصرفيًّا ـ إذْ لا فارق بينهما سوى كسر السين أو ضمِّها ـ فإن بينهما اختلافًا كبيرًا فى المعنى.

فالسِّخْرىُّ بالكسر: السُّخْرِيَة والهُزْء، والسُّخْرِىُّ بالضم: السُّخْرة والاستعباد، والياء فيهما للمبالغة، كالياء فى خُصوصِيَّة، وأصلها (خُصوص).

- **السِّلْم ـ السَّلْم ـ السَّلَم:**

لم تفرِّق المعاجم بين السِّلْم والسَّلْم؛ قال ابن منظور: السَّلْم والسِّلْم: الصُلح، يُفْتَح ويُكسَر[٤٥].

بينما ذكرت المعاجم أن السَّلَم (بفتح اللام) يعنى: الاستسلام والإذعان والانقياد[٤٦].

وقد ورد السِّلْم (مكسور السين ساكن اللام) فى القرآن مرة واحدة

(على قراءة غير نافع وابن كثير والكسائى وأبى جعفر) فى قول الله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ [البقرة].

السِّلْم: الاستسلام والطاعة؛ أى استسلموا لله وأطيعوه، وقيل: هو الإسلام[٤٧]، وقد أنشد الكسائى وغيره من علماء اللغة قول امرئ القيس بن عابس الكندى:

دَعَوْتُ عَشيرتِى للسِّلْم لـمَّا ... رَأَيْتُهُمُ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَا

فَلَسْتُ مُبَدِّلًا بالله ربًّا ... وَلا مُسْتَبْدِلًا بالسِّلْم دِينَا

أى: دعوت قومى للإسلام، قال ذلك لَمَّا ارتدَّت قبيلة كندة مع الأشعث بن قيس.

وقال آخر فى فتح مكة:

شَرَائِعُ السِّلْمِ قَدْ بَانَتْ مَعَالِمُها ... فَما يَرَى الكُفْرَ إلَّا مَنْ بِهِ خَلَلُ

يريد: الإسلام؛ لأنه قابَلَه بالكفر، وقيل: (السِّلم) بالكسر: الإسلام، وبالفتح: الصُّلْح[٤٨].

والأرجح من بين هذه الأقوال قول أبى عمرو بن العلاء، وهو أحد القُرَّاء السبعة، الذى يرى أن السِّلْم بكسر السين هو الإسلام، والسَّلْم بفتح السين هو المسالمة[٤٩].

والسَّلْم (بفتح السين وسكون اللام) ورد فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين الآتيتين:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد].

وهى فى الموضعين بمعنى المسالمة كما سبق ذكره، وكما فى كثير من كتب التفسير(٥٠).

أما السَّلَم بفتح السين واللام فقد تكررت فى القرآن الكريم خمس مرات فى الآيات الآتية:

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾ [النساء].

﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ [النساء].

﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل].

﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [النحل].

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ [الزمر: ٢٩].

السَّلَم فى هذه الآيات بمعنى: الانقياد والاستسلام[٥١]، عدا آية الزمر فمعنى قوله ﷻ: ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾: خالصًا له لا يَشْرَكُه فيه أحدٌ[٥٢].

ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (سِلْم ـ سَلْم ـ سَلَم) بينها تقارب دلالى؛ حيث تشترك جميعها فى معنى الخلوص.

فالسِّلْم: خُلوص الطاعة والإيمان والعمل لله ﷻ.

والسَّلْم: خُلوص الرغبة فى الصلح.

والسَّلَم: خُلوص الانقياد والاستسلام، أو خلوص الشىء لمالكه فلا يشركه فيه أحد.

- **صَدّ ـ صُدُود:**

قال الله ﷻ:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ وَصَدٌّ

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾ [النساء].

وقال ﷻ فى موطن آخر:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء].

استعمل المصدر (صدًّا) لما كان فِعلهُ متعديًا؛ أى: يصُدُّون غيرَهم، فهو بمعنى المنع.

واستعمل المصدر (صدودًا) لما لم يكن متعديًا، فهو بمعنى الإعراض.

- **صَوْم - صِيام:**

استخدم القرآن الكريم الفعل "صام" الذى يدل على معنى الإمساك عن الطعام والشراب، كما يدل على معنى الصمت وعدم الكلام.

وقد حرص القرآن على أن يميِّز فى المصدر بين النوعين؛ فاستخدم للأول كلمة "صيام" كما فى قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ

مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة].

واستخدم للثانى كلمة "صوم" كما فى قوله تعالى:

﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم] (٥٣).

- **كَرْه ـ كُرْه:**

كلا اللفظين مصدر (كَرِهَ)، وقيل: الكره (بالضم) اسم، والكره (بالفتح) مصدر، وقيل: الكره (بالضم): المشقَّة، وهو فِعْل المختار، والكره (بالفتح): أن تُكلَّفَ الشىء فتعمله كارهًا، وهو فعل المضطَرِّ (٥٤).

وإذًا فاللفظان يشتركان فى معنى إباء النفس للشىء وثقله ومشقته وعدم الرِّضا به.

أكثر أهل اللغة يرون أن اللفظين مترادفان، إلَّا الفرَّاء فإنه زعم أن الكره (بالضم): ما أكرهت نفسك عليه، والكره (بالفتح): ما أكرهك غيرك عليه (٥٥).

وقد ورد لفظ (الكره) بالضم فى القرآن الكريم ثلاث مرات (٥٦)، فى الآيتين الآتيتين:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وسياق الآيتين لا يُرَجِّح ما ذهب إليه الفرَّاء من أن الكره بالضم هو ما أكرهت نفسك عليه، والأصَحُّ أن يقال: إن الكره: ما كَرِهَتْه النفس لمشقته وثقله عليها، ولكن النفس تختاره وتُقْبِل عليه برغم مشقته، فالقتال كريه للنفوس؛ لأنه يَحُول بين المقاتِل وبين طمأنينته ولَذَّاته ونومه وطعامه وأهل بيته، ويعرِّضه للهلاك أو ألم الجراح، ولكنَّ فيه دفع المذلَّة، فهو من الضرورات التى لا بد منها؛ لأن تركه يُفْضِى إلى ضرر أعظم وأشد، وكراهية الطبع لا تُنافِى تلقِّى التكليف به برضًا؛ لأن أكثر التكليف لا يخلو عن مشقة(٥٧).

ومثل ذلك الحمل والوضع فى آية الأحقاف، فهما وإن كان فيهما ثقل ومشقة وألم - إلَّا أن المرأة تَقْبَل هذه المشقة وتتجشَّمها راضيةً سعيدة؛ لأجل الولد.

ففى كلمة (كُرْه) ثلاثة ملامح دلالية:

١. الشدة والمشقة.

٢. الرضا بهذه المشقة.

٣. كونه مفروضًا من الخارج.

أمَّا (الكره) بفتح الكاف فقد ورد فى القرآن الكريم خمس مـرات[58]، فى الآيات الآتية:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء].

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [التوبة].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت].

ونخلـص ممـا سـبق إلى أن الملامـح الدلاليـة المميِّـزة للكـره فى هـذه الآيات: المشقة، والإجبار (ضد الطَّوْع والإرادة)، وعـدم قبـول الـنفس

للأمر عن رضا.

والملمح الأخير هو الملمح الدلالى الفارق بين الكره والكـره؛ حيـث يشتركان فى ملمحين هما:

١. الشدة والمشقة.

٢. كونه مفروضًا من الخارج.

ويتميز المضموم بملمح الرِّضا، بينما يتميز المفتوح بعدم الرِّضَا.

٣ ـ اختلاف صيغ المشتقات:

- **الرَّحمن ـ الرَّحيم:**

قال الله ﷻ:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة].

جاء فى الكشاف: "فى (الرحمن) من المبالغة ما ليس فى (الرحيم)، ويقولون: إن الزيادة فى البناء زيادة فى المعنى؛ قال الزجاج فى الغضبان: هو الممتلئ غضبًا، ومما طَنَّ على أذنى من مُلَح العرب أنهم يسمُّون مركبًا من مراكبهم بالشَّقْدَف، وهو مركب خفيف ليس فى ثقل محامل العراق، فقلت فى طريق الطائف لرجل منهم: ما اسم هذا المحمل؟ فقال: أليس ذاك اسمه الشقدف؟ قلت: بلى، قال: هذا اسمه الشقنداف،

فزاد فى بناء الاسم لزيادة المسمَّى.

كما أن صيغة (فَعْلان) تفيد الحدوث والتجدُّد، وصيغة (فعيـل) تفيـد الثبوت، فجمع الله ﷻ لذاته الوصفين؛ إذ لو اقتصر عـلى (رَحْمَـن) لَظَـنَّ ظانٌّ أن هذه صفة طارئة قد تـزول كعطـشان وريَّـان، ولـو اقتـصر عـلى (رحيم) لظنَّ أن هذه صـفة ثابتـة ولكـن لـيس معنـاه اسـتمرار الرحمـة وتجددها؛ إذ قد تمرُّ على الكـريم أوقـاتٌ لا يكـرم فيهـا، وقـد تمـرُّ عـلى الرحيم أوقاتٌ لا يَرْحَمُ فيها، والله ﷻ متصفٌ بأوصاف الكمال؛ فجمـع بينهما حتى يعلم العبد أن صفته الثابتة هـى الرحمـة، وأن رحمتـه مـستمرة متجددة لا تنقطع؛ حتى لا يستبدَّ به الوهم بأن رحمة الله ﷻ تعـرض ثـم تنقطع أو قد يأتى وقت لا يرحم فيه سبحانه، فجمع الله كمال الاتـصاف بالرحمة لنفسه"[٥٩].

وقال ابن القيم: إن فى اسم (الرَّحْمَن) الذى هو على وزن فَعْلان ما فيه من سَعَة هذا الوصف وثبوت جميع معناه للموصوف به، ألا تـرى أنهـم يقولون: غضبان للممتلئ غضبًا، وندمان وحيران وسكران ولهفان، لمن ملئ بذلك؟ فبناء (فعلان) للسعة والشمول؛ ولهذا يُقْـرَن اسـتواؤه عـلى العرش بهذا الاسم كثـيرًا، كقولـه تعـالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾

[الفرقـان]، فاسـتوى عـلى عرشـه باسـم الـرحمن؛ لأن العـرش محـيط بالمخلوقات قد وسعها، فاستوى على المخلوقات بأوسع الصفات[٦٠].

وزاد السهيليُّ: "إنَّ الرَّحْمَن من أبنية المبالغـة كغَـضْبان ونحـوه، وإنـما دخله معنى المبالغة من حيث كـان فى آخـره ألـف ونـون كالتثنيـة، فـإن التثنية فى الحقيقة تضعيف، وكذلك هذه الصفة، فكأن غضبان وسـكران لضِعفين من الغضب والسكر، فكان اللفظ مضارعًا للفـظ التثنيـة؛ لأن التثنية ضعفان فى الحقيقة"[٦١].

وزاد ابن جماعة أن: (فَعْلان) صيغة مبالغـة فى كثـرة الـشىء وعِظَمِـه والامتلاء منه، ولا يلزم منه الدواء لذلك، كغَضْبان ونَوْمـان وسـكران، وصيغة (فَعِيل) لـدوام الـصفة ككـريم وظريـف، فكأنـه قيـل العظـيم الرحمة، الدائمها[٦٢].

ونخلص مما سبق إلى أن تجاور الصفتين (الرَّحمن ـ الرَّحيم) يـراد بـه: الثبوت واللزوم المفهوم من صيغة فَعيل فى اسم الله (الرَّحيم)، والتجـدد والاستمرار والمبالغة المفهومة من الـصيغة الـصرفية فَعْـلان فى اسـم الله (الرَّحْمَن).

- **الرَّازق ـ الرَّزَّاق:**

ورد هذان الاسمان لله ﷻ فى القرآن الكريم بدلالتين متقـاربتين، كـما

فى قول الله ﷻ:

﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾ [المائدة].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات].

الوصف (رازق) صيغة اسم فاعل، ومعناه أن الله ﷻ هو الذى يرزق عباده، والملاحظ فى جميع السياقات التى وردت فيها هذه الصيغة أنها جاءت جمعًا ومضافة إلى اسم التفضيل (خَيْر).

ومعنى ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: أنه ﷻ أفضل الرازقين وأكثرهم خيرًا، وهذا يعنى أن صفة (الرازق) ليست خاصَّة بالله ﷻ؛ ولذلك جاءت على وزن اسم الفاعل لتشمل المخلوقين، والمركب الإضافى فى: ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يخصِّص الله ﷻ بالخيريَّة والأفضليَّة.

أما الوصف (رَزَّاق) فورد بصورة المفرد، فى آية الذاريات، وهو صيغة مبالغة على وزن (فَعَّال)؛ لإفادة كثرة الرزق وتعدُّد وجوهه، ولم يوصَف به غير الله ﷻ.

- **ساحر ـ سحَّار:**

قول الله ﷻ:

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ

سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأعراف].

وفى موضع آخر قال ﷻ:

﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشعراء].

استُعملت صيغة اسم الفاعل (ساحر) فى آية الأعراف؛ لعدم الحاجة إلى المبالغة فى الوصف، حيث الآية السابقة لم يذكر فيها السحر، وهى قول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأعراف].

بينما استُعملت صيغة المبالغة (سَحَّار) فى آية الشعراء؛ لتقدُّم قول الله ﷻ: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ ﴾ [الشعراء: ٣٥]، فلما وصفه بالسحر كان جوابهم عليه أن يأتُوه بمن هو أعلى منه كعبًا فى السحر، فاستُخدمت صيغة المبالغة للتعبير عن هذا.

- **مُشْتَبِه ـ مُتَشابِه:**

ورد هذان اللفظان فى آية واحدة، هى قول الله ﷻ:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ

وَجَنَّٰتٍ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ﴾ [الأنعام: ٩٩].

والفارق بين اللفظين أن (المشتبه) يحتمل معنيين:

الأول: التشابه، والثاني: اللَّبْس المؤدِّي إلى الحيرة.

فنفَى (التَّشابه)؛ أي: التساوي والتماثل، وأثبت (الاشتباه)؛ أي: وجود شَبَه قويٍّ يقود إلى اللَّبْس والحيرة؛ وذلك لأنَّ هذه الثمار مختلف بعضها عن بعض اختلافًا جوهريًّا، وإن بدا أنها متشابهة ظاهريًّا؛ مصداقًا لقول الله ﷻ:

﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾ [الرعد].

- **صَبَّار ـ شَكُور:**

قال الله ﷻ:

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥ ﴾ [إبراهيم].

جاءت كلمة (صَبَّار) على صيغة (فَعَّال) الدالة على الكثرة، ولم تُستعمل صيغة (صَبور ـ فعُول) الدالة على المداومة؛ لأنَّ الصبر يكون

على المكروه والأذى، وهو شىء لا تُطِيق النفوسُ أن تَدُوم عليه، فاكتفى بالصيغة الدالَّة على الكثرة دون أن تدل على الدوام؛ رفقًا بالعباد ورعاية للجانب البشرىِّ الضعيف فى نفوسهم، وكأنَّ فى الصيغة إيماءً إلى أنه يكفى كثرة الصبر ولا حاجة إلى الدوام عليه.

بينما جاءت كلمة (شَكور) على صيغة (فَعول)، وهى صيغة مبالغة تدل على الدوام، والشكر يكون على النعم، وهى متجددة فى كل وقت، فتحتاج إلى الشكر فى كل حين؛ فاختير لذلك الصيغة الدالة على الكثرة والدوام معًا، هذا مع مراعاة فواصل الآيات والجانب الموسيقىِّ للألفاظ.

- **ضيِّق ـ ضائِق:**

قول الله ﷻ:

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾ [هود: ١٢].

عبَّرت آية هود باسم الفاعل (ضائق)؛ لأنها فى خطاب النبى ﷺ، للدلالة على أنه شىء عارضٌ غير ثابت؛ لأن رسول الله ﷺ كان أفسَحَ

الناس صدرًا، ومثله قولك: زيد سيِّدٌ وجواد، تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين؛ فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد(٦٣).

بينما عبَّرت آية الأنعام بالصفة المشبهة (ضيِّق) الدالَّة على أمر مستقرٍّ ثابت؛ لأنها فى وصف الضالِّين.

ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (ضيِّق ـ ضَائِق) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث إنَّ كليهما دالٌّ على الضِّيق.

ولكن كلمة (ضائق) تدلُّ على ضيق عارض عابر، وكلمة (ضيِّق) تدلُّ على ضيقٍ ثابتٍ متأصِّلٍ، وهذا مستفادٌ من البناء الصرفىِّ للكلمتين.

٤ ـ اختلاف صيغ الجموع:

- **أبرار ـ بَرَرة:**

أصل مادة (ب ر ر) فى اللغة: الصِّدْقُ، يُقال: بَرَّتْ يمينُه؛ أى: صدقَتْ، وبرَّ الله حجَّك، وحجَّةٌ مبرورةٌ؛ أى: قُبِلَتْ قبولَ العمل الصَّالح، وقولُهم: يَبَرُّ ربَّه؛ أى: يُطيعُه، وهو من الصِّدق(٦٤)، وعمَّم بعض العلماء البرَّ فى الدَّلالة على الخير(٦٥).

واختُلِفَ فى صيغتَى الجمع (أبرار، بررة)، فقيل: أبرار: جمع بَرٍّ، وبَرَرة: جمع بارٍّ(٦٦)، وقيل بالعكس(٦٧).

وكلا اللَّفظين جمعٌ لمفردٍ واحد هو (بَرٌّ)؛ بدليل أنَّ لفظ (بار) لم يَرِدْ فى

القرآن الكريم، كما أنَّ القاعدة الصَّرفية تقول: إنَّ جمع (فاعل/ بار) على (أفعال/ أبرار) هو ممَّا يُحفَظ ولا يُقاس عليه[٦٨].

وبتأمُّل السِّياقات القرآنيَّة للَّفظين، نجد أنَّ الجمع (أبرار) قد ورد فى القرآن الكريم ستَّ مرَّات، منها الآيات الآتية:

﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ ﴾ [الإنسان].

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣، المطففين: ٢٢].

بينما ورد الجمع (بررة) مرَّةً واحدة فى قول الله تعالى:

﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [عبس].

والملاحَظُ أنَّ الجمع (أبرار) قد وَرَدَ وصفًا للبشر، بينما ورد الجمع (بررة) وصفًا للملائكة، وهذا يُرجِّحُ ما ذهب إليه الدكتور فاضل السَّامرائى[٦٩]؛ حيثُ يرى أنَّ (أبرار) جمع قلَّة، فهو ـ وإنْ وُصِفَ به النَّاسُ على كثرتِهم ـ إلَّا أنَّهم قِلَّةٌ بالقياس إلى الفُجَّار من النَّاس، أمَّا الجمع (بررة) فهو جمع كثرةٍ؛ ولذلك اسْتُعْمِلَ وصفًا للملائكة، وهم

جميعًا بَرَرة[٧٠].

- **أعين ـ عيون:**

كِلا اللَّفظين جمع (عَين)، سواءٌ أكانت العينُ حاسَّةَ الإبصار، أو عَـيْنَ ماءٍ، أو غير ذلك[٧١]، ولكنَّ المتأمِّل للسِّياقات القرآنية التى ورد فيها كِلَا اللَّفظين يجد أنَّ كلمة (أعين) جاءتْ جمعًا للعين التى هى حاسَّـة البـصر، كما فى قول الله ﷻ:

﴿ قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأعراف].

وأمَّا كلمة (عيون) فجاءتْ فى جميع مواضعها من القرآن الكريم جمعًا لعَيْن الماء، كما فى قوله ﷻ:

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ﴾ [الحجر].

﴿ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧ ﴾ [الشعراء].

﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ ﴾ [الدخان].

وليس المعتبَر فى الاستخدام القُرآنى للكلمتين البنية الصَّرفيَّة الدَّالَّة على جمع الكثرة فى (عيون)، وعلى جمع القلَّة فى (أعْيُن)؛ لأنَّ كِلْتَيْهما وردَت فى سياقات تُفيد الكثرةَ، ولكنَّ القرآن الكريم عبَّر بالبنية الصَّرفيَّة (أعْيُن) عن حاسَّة البصر، وبالبنية الصَّرفيَّة (عيون) عن عيون الماء(٧٢).

٥ ـ الفروق الدلالية بين الإفراد والجمع:

- **درجة ـ درجات:**

قال الله ﷻ:

﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٩٦ ﴾ [النساء].

جاءت كلمة ﴿ دَرَجَةٗ ﴾ مفردة فى الآية الأولى؛ لأن المراد: فى الدنيا، وجُمِعت فى الآية التالية: ﴿ دَرَجَٰتٖ ﴾؛ لأن المراد: فى الآخرة.

- **دار ـ ديار:**

قال الله ﷻ:

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [هود].

أُفرِد لفظ الدار فى آية الأعراف؛ لأن الرجفة ـ وهى الزلزلة ـ دمَّرت بلدهم تدميرًا، فجاء اللفظ واحدًا باعتبار بلدهم المدمَّر.

وجُمِع اللفظ فى آية هود؛ لأن الصيحة جاءت من السماء، وهى أقوى وأعنف من الرجفة، فجاء اللفظ مجموعًا لبيان عِظَم التدمير وقوته وفداحة آثاره.

- **ريح ـ رياح:**

نَصَّت المعاجم العربية على أن الرِّيح مفرد الرِّياح[٧٣]، ولكن بعض المفسِّرين فرقوا بين الكلمتين وقالوا: الرِّيحُ فى العذاب، والرِّياح فى الرحمة[٧٤]، واستشهدوا لذلك بما تواتر من قراءة عاصم أنه كان يقرأ ما كان من رحمة بصيغة الجمع (رياح)، وما كان من عذاب بصيغة الإفراد (رِيح)، وإن كان غير عاصم من القُرَّاء قد اختلفوا فى الرحمة، فمنهم من قرأه بالجمع ومنهم من قرأه بالإفراد، لكنَّهم جميعًا اتفقوا على ما كان من

عذاب فقرأوه بصيغة المفرد (ريح).

قال الفراء بعد أن ذكر القراءات فى الريح والرياح: "ونرى أنهم اختاروا الرياح للرحمة؛ لأن رياح الرحمة تكون من الصَّبَا والجَنُوب والشمال من الثلاث المعروفة، وما لا مطر فيه الدَّبُور؛ لأن الدَّبُور لا تكاد تَلْقَح؛ فسُمِّيت ريحًا موحَّدةً لأنها لا تدور كما تدور اللواقح" (٧٥).

وهذا التوجيه مُطَّرِدٌ فى أكثر مواضع الكلمتين فى القرآن الكريم، ويزيده بيانًا ورود اللفظين فى آيات متتالية من سورة الروم؛ حيث تكررت صيغة الجمع مرتين فى الآيتين (٤٦، ٤٨)، وهما فى سياق الرحمة والبشارة، ثم جيء بصيغة المفرد فى سياق العذاب فى الآية رقم (٥١)، وهى الآيات الآتية:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الروم].

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الروم].

﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الروم].

قال الزمخشرى متفقًا مع الفرَّاء: الرياح هى الجنوب والشمال والصَّبَا، وهى رياح الرحمة، وأما الدَّبُور فرِيحُ العذاب، ومنه قول النبى: "اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا"... فإذا أَرْسَلَ رِيحًا فضرب زروعهم بالصَّفَارِ ضَجُّوا وكفروا... والريح التى اصفَرَّ لها النبات يجوز أن تكون حَرُورًا وحَرْجَفًا، فكلتاهما مِمَّا يُصَوِّح لها النبات ويصبح هشيمًا[٧٦].

وهذا الحديث الذى ذكره الزمخشرى يدل على أن مواضع الرحمة والبُشْرَى أَوْلَى بصيغة الجمع، ومواضع العذاب أَوْلَى بالانفراد.

والتفرقة بين الصيغتين ليست على إطلاقها، فلا يقال إن الريح للعذاب والرياح للرحمة، والأَوْلَى أن يُقَالَ: إنَّ العذاب قد خُصَّ بلفظ المفرد (ريح)، ولا يُقال فى العذاب (رياح) قَطّ، أَمَّا الرحمة فقد تكون بلفظ المفرد، والأكثر أن تكون بلفظ الجمع.

٤. روح الكلمة القرآنية وظلالها الدلالية:

للكلمة القرآنية روحٌ تطالعنا فى ثنايا الآيات، لا تستمدُّ معناها وجوهرها من الدلالة المعجمية فحسب، بل بما تشعُّه من ظلالٍ دلاليَّة، على نحو ما نرى فى الأمثلة الآتية:

- قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣].

كان يمكن أن تقول: «إن نفسى لأمَّارة بالسوء»، لكنَّ هذا يفوِّت عليها فرصة الاحتماء بالطبيعة الإنسانية؛ إذ تؤكد اتهام النفس على إطلاقها، فى موقف تسعى فيه إلى استخلاص بقية من حسن الظن بها، بواسطة وقوفها موقف التائب المعترف بالخطأ؛ ومن هنا كان اختيار كلمة «النفس» لتعمَّ نفوس البشر جميعًا ومنها نفسها هى.

- قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى].

تأمَّلْ ما تبعثُه فى النفس كلمة «رُوحًا»، إنَّ فى هذا الوحى حياة، وهو يبثُّ الحياة ويدفعها ويحرِّكها وينمِّيها فى القلوب وفى الواقع العملى المشهود، ثم تُصوِّرُ الآية نفس رسول الله ﷺ قبل أن تتلقَّى هذا الوحى: ﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾، وقد سمع رسول الله ﷺ عن الكتاب وسمع عن الإيمان، وكان معروفًا فى الجزيرة العربية أن هناك أهل كتاب وأن لهم عقيدة؛ فليس هذا هو المقصود، إنما المقصود هو اشتمال القلب على هذه الحقيقة والشعور بها والتأثر بوجودها فى الضمير، وهذا ما لم يكن قبل هذا الروح من أمر الله الذى لابَسَ قلب

محمـــد ﷺ: ﴿ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ ﴾، هـــذه طبيعتـــه الخالصة، طبيعة هذا الوحى، هذا الروح، هـذا الكتـاب: إنـه نـورٌ، نـورٌ تخالط بشاشتُه القلوبُ التى شـاء لهـا الله أن تهتـدى بـه، بـما يَعْلَمُـه مـن حقيقتها، ومن مخالطة هذا النور لها[٧٧].

• قوله ﷻ: ﴿ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف].

عدلت عن قولهـا: «مـن أراد بـى سـوءًا» إلى أن تجعـل إرادة الـسوء موجهة إلى أهله؛ لتصرف العدوان من أن يكون عليها هى إلى أن يكـون عليه هو، استدرارًا لغضبه من أجل كرامته، ولـو قالـت: «مـن أراد بي» لتركت له الفرصة للتأمل فى صدق قولها أو كذبه، أو لكان لـه أن يقـول لها: ولماذا تركت له الفرصة حتى أراد بك السوء؟

• قوله ﷻ: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [يوسف: ٧٦].

هذه الآية لفظان مختاران أولهما لفظ «كدنا»، والمقصود «ألهمناه كيدًا» والثانى «دين الملك»، والمقصود العقوبة المصرية القاسية، فالله تعالى ألهم يوسف أن يسأل إخوته عن جزاء السارق فى عرفهم ليقى أخاه أن يؤخذ

فى دين الملك؛ أى شرعه القاسى.

فالتعبير بلفظ «كدنا» أبلغ فى الدلالة على إرادة الله، من أن يقال «ألهمنا يوسف كيدًا»، واختيار لفظ «دين الملك» على لفظ «شريعته»؛ لأن الملك كان يحكم بإرادته الفردية، فلم تكن له شريعة يلتزم بها ويخضع لحكمها، والمعنى أنه ما كان ليوسف أن يرضى بإخضاع أخيه للعقوبة المصرية إلَّا أن يشاء الله.

• قوله ﷻ: ﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ [يوسف: ٩٣]، ثم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [يوسف: ٩٦].

لاحظ الفرق بين لفظى «يأت» و«ارتدَّ»؛ فمناط القول فى الأول رغبة يوسف فى مجىء قومه إلى مصر، بدليل قوله بعد ذلك مباشرة: ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾، وأما مناط القول فى الثانى فهو التحوُّل من حالة العمى بالارتداد إلى الإبصار دون تفكير فى انتقال أو عدمه.

• قوله ﷻ: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ [طه: ١٠]، وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن

﴿جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩].

عبَّر بـ «آنس» التى فيها ملمح الأُنس وذهاب الوحشة؛ لأنه كان فى حال وحشة وضيق وجوع وعطش.

• قوله ﷻ: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ [ص].

المعروف أن صيغة «فُعال» اسم كلُعاب، وصفة مشبهة كشجاع، وإحدى صيغ المصادر؛ إذ تدل على داء أو صوت كسعال وصراخ، ولكن إرادة المبالغة فى تصوير معنى «عجيب» أدَّت إلى استعمال هذه الصيغة التى لا تُحتسب عادة بين صيغ المبالغة، وشبيه ذلك ما حدث باختيار ألفاظ أخرى مثل: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا كُبَّارًا ۝٢٢﴾ [نوح]؛ إذ لا تعد صيغة «فُعَّال» بين صيغ المبالغة، وكذلك لفظ «الكوثر» فى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر]؛ أى أعطيناك الكثير جدًّا.

• قوله ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج].

انظر إلى الطباق فى اللفظ والوفاق فى المعنى بين لفظى ﴿يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ﴾، فهذا الطباق اللفظى حال بينه وبين الامتداد إلى المعنى عبارة

﴿ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾، فلماذا كان اختيار لفظ ﴿ وَيَهْدِيهِ ﴾ دون: "يسوقه"، أو "يلجئه"، أو "يسلمه"، أو "يدفعه"، أو ما أشبه ذلك من الألفاظ؟

إنَّ فى اختيار اللفظ المذكور ما يلى:

أ- إرادة السخرية كإرادتها فى قول الله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤، الانشقاق: ٢٤].

ب- إن من شأن الدعوة أن تكون إلى الهدى لا إلى الضلال، فتحقَّق ذلك له باللفظ وإن فاته بالمعنى، وإنما جاءت السخرية من المقابلة بين التحَقُّق والفوات فى لفظ واحد.

• ومن الإيحاءات القرآنية ما تثيره أصوات الكلمة من ظلالٍ دلالية، كما فى ألفاظ قرآنية لا وجود لمعظمها خارج النص القرآنى، وذلك مثل: ضِيزَىٰٓ - زَقُّومٍ - غِسْلِينٍ - كَٱلْمُهْلِ - سَقَرَ - سَلْسَبِيلًا - وَغَسَّاقًا - سِجِّينٍ - عِلِّيِّينَ - تَسْنِيمٍ - ضَرِيعٍ - سِينِينَ - سِجِّيلٍ - ٱلْكَوْثَرَ - غَاسِقٍ - وَقَبَ ... إلخ، وفى هذه الألفاظ حكاية للمعنى بواسطة الجرس، ولو حاولنا بيان ذلك فى لفظ (زَقُّوم) لوجدنا ما يلى:

١. القاف والميم شركة بين لفظ الزقوم ولفظ "اللقمة".

٢. الزاى رخوة "احتكاكية" والقاف شديدة "انحباسية"، وتواليهما يوحى بتكلُّف إدخال اللقمة محتكة بالفم، ففيها معنى "الزَّق" كما يزقُّ الطائر فرخه؛ أى يطعمه بِفِيه.

٣. وفى الكلمة من حروف "الحلقوم" القاف، ثم إن فى الواو والميم من طول الأولى وإقفال الشفتين فى الثانية ما يوحى بتوقف اللقمة عند الحلقوم؛ لصعوبة ازدرادها.

٤. أصول الكلمة هى أصل اشتقاق طائفة من الكلمات تتصل بالطعام؛ فالطائر يزق فرخه، وزقم = لقم، وأزقَمَهُ = أبْلَعَهُ، وازدقمه = ابتلعه، وأخيرًا الزَّقْمَةُ = الطاعون.

٥. فى تشديد القاف إطالة اتصال الأعضاء فى مخرجها، مما يوحى ببقاء اللقمة محتبسة فى الحلقوم مدة طويلة قبل الإساغة، وبخاصة إذا لحق بطول التشديد طول المدِّ الذى فى الواو من "الزَّقُّوم"[٧٨].

ثالثًا: إعجاز النظم القرآنى:

١. إعجاز النظم القرآنى على مستوى الآية:

القرآن الكريم كما أنَّه معجزٌ بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، هو أيضًا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته، وقد نُسِجَ نظمُه نسجًا بالغًا مُنتهَى ما تسمح به اللغة العربيَّة من الدَّقائق واللَّطائف لفظًا ومعنًى بما

يفى بأقصَى ما يُراد بلاغةً إلى المرسل إليهم.

ولقـد كـان للعـرب فى القـديم حِـسٌّ لغـوىٌّ مرهـف فى إدراك هـذا الإعجاز، من ذلك ما رواه الأصمعى قال: رأيتُ بالبادية جارية صـغيرة وهى تقول:

أسْـتَغْفِرُ اللــه لـذنبى كُلِّـهْ   قَتَلْـتُ إنـسـانًا لِغَـيْرِ حلِّـهْ

مِثْـلَ الغـزالِ ناعمًـا فى دَلِّـهْ   فانتصَفَ اللَّيْـلُ ولَـمْ أُصَـلِّهْ

فقلت لها: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أتُعَـدُّ فـصاحة بعـد قـول الله تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص].

فجمع فى آيةٍ واحدة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين[٧٩]!

لقد ولد نبى الله موسى عليه السلام فى العام الـذى كـان فرعـون يقتـل فيـه الغلمان، وهذا الأمر وقع بقدر من الله، فقال الله فى هذه الآية محـدثًا عـن هذا الخبر: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ ﴾، وهو وحى إلهام ﴿ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ وهذا هو الأمر الأول فى الآية، ثم قال تعالى: ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ

﴿ فِى ٱلْيَمِّ ﴾، وهذا هو الأمر الثانى فى الآية، وهنا يظهر لنا الأمران: فالأول هو أن ترضعه، والثانى هو أن تلقيه فى اليم إن خافت عليه.

ولما كان البحر مظنَّة هلاك وطريق موت طَمْأنَ الله أمَّ موسى فقال: ﴿ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ﴾، وهذان هما النهيان فى الآية؛ فقد نهى الله أم موسى عليه السلام أن تخاف عليه من البحر، ونهاها أن تحزن لفراقه، فهو تحت رعاية الله.

ثم قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴾، وهذه هى البشارة الأولَى؛ فقد بشَّر الله أم موسى بردِّ ولدها إليها للرضاعة مرة أخرى، وقال ﷻ: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ فى مستقبل أيامه، إن جاوز الأربعين وبلغ أشدَّه، وهذه هى البشارة الثانية.

آية واحدة من كلام الرب تبارك وتعالى تضمَّنت أمرين: ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ و ﴿فَأَلْقِيهِ ﴾، وتضمنت نهيين: ﴿ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ﴾، وتضمنت بشارتين: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

مثال آخر من تدبر الإمام عبد القاهر الجرجانى فى قول الله ﷻ:

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [هود].

يقول الإمـام عبـد القـاهر فى دلائـل الإعجـاز: «ومعلـومٌ أنَّ مبْـدَأ العظمةِ فى أنْ نُوديت الأرضُ، ثم أُمِرَتْ، ثم فى أنْ كـان النـداء بـــ "يـا" دُونَ "أى"، نحو: "يا أيّتها الأرضُ"، ثم إضافة الماء إلى الكـاف، ثـم أنْ أتْبَعَ نداءَ الأرض وأمْرَها بما هو من شأنها، نداءَ السماء وأمرَها كذلك بـما يَخصُّها، ثم أنْ قيل: ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾، فجاء الفعلُ على صـيغة "فُعِـل" الدالَّةِ على أنَّه لم يَغِضْ إلَّا بأَمر آمرٍ وقُدرةِ قادرٍ، ثم تأكيدُ ذلـك وتقريـرُه بقولـه تعـالى: ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾، ثـم ذكـرُ فائـدة هـذه الأمـور، وهـو: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾، ثم إضمارُ "السفينةِ" قَبْل الذكْر، كما هو شرطُ الفخامةِ والدلالةِ على عِظَم الشأن، ثم مقابلة "قيل" فى الخاتمة بـ "قيـل" فى الفاتحة؟ أَفَتَرى لـشىء مـن هـذه الخـصائصِ التـى تملـؤك بالإعجـازِ روعةً، وتحضُرُكَ عندَ تصوُّرِها هيبةٌ تُحيطُ بـالنَّفس مـن أقطارِهـا، تعلُّقًـا باللفظ من حيثُ هو صوتٌ مسموعٌ وحروفٌ تَتوالى فى النُّطـق؟ أم كـلُّ ذلك لما بينَ معـانى الألفـاظِ مـن الاتِّـساق العجيـب؟ فقـد اتَّـضحَ إذن اتِّضاحًا لا يَدَعُ للشكِّ مجالًا أنَّ الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هى ألفـاظٌ مجرَّدة، ولا من حيثُ هى كَلِـمٌ مفـردةٌ، وأنَّ الفـضيلة فى ملاءمـة معنـى اللفظـة لمعنـى التـى تليهـا، ومـا أشـبهَ ذلـك ممَّـا لا تَعلُّـقَ لـه بـصريحِ اللفظ»[٨٠].

ويأتى علم اللغة الحديث بنظرياته ومناهجه ليضع أيدينا على حقيقة الإعجاز فى نظم القرآن بدقة وتحديد، على نحو ما يظهر لنا فى البيان الآتى:

أ- الإحكام والتماسك بين كلمات الآية:

النَّظْم القُرآنى على مستوى الآية نظمٌ مُعجِزٌ، يظهر ذلك جليًّا إذا تأمَّلْنا التَّرابُط والتَّماسُك بين كلمات الآية على نحوٍ متميِّز ومُتفرِّد، من ذلك قول الله ﷻ:

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ [هود].

وانظر إلى العلاقة بين ﴿ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ و﴿ حَكِيمٍ ﴾ فى آخر الآية؛ إذ الإحكامُ يحتاج إلى حكيم، وعلى المنوال نفسه تأمَّلْ قولَه ﷻ: ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ﴾؛ فالتَّفصيل وبيانُ الدَّقائق يحتاج إلى خبير، وهذا إحكامٌ ما بعدَه إحكام.

وهكذا كُلَّما تدبَّرْتَ العلاقة بين كلمات الآية وختامها اكتشفْتَ الصِّلة القويَّة والتَّناسُب والتَّناغُم فى المعنى.

وقول الله تعالى:

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ

غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص].

خصَّ الله ﷻ النَّهارَ بذكر البصر؛ لأنه محلُّه، وفيه سلطان البصر وتصرُّفه، وخصَّ الليل بذكر السَّمع؛ لأن سلطان السَّمع يكون بالليل، وتسمع فيه الحيوانات ما لا تسمع فى النهار، لأنه وقت هدوء الأصوات وخمود الحركات، وقوة سلطان السمع وضعف سلطان البصر، والنهار بالعكس: فيه قوة سلطان البصر، وضعف سلطان السمع(٨١).

ب- الفاصلة فى القرآن الكريم (قيمة صوتية لها وظيفة دلالية):

- **الفاصلة بين التناسق الصوتى ورعاية المعنى:**

أودُّ هنا ـ بدايةً ـ توضيح ملاحظة تتصل بأدب السلف الصالح مع القرآن الكريم؛ حيث أطلقوا على نهايات الآيات القرآنية تسمية "رءوس الآيات"، تمييزًا لها عن مصطلحات الشعر والنثر، ففى الشعر نقول: صدر البيت وعجزه، وفى النثر نقول: بداية الجملة ونهايتها، فبداية الآية عندهم كنهايتها: رأس؛ أى مستوى من الارتفاع والارتقاء لا ينتهى ولا يهبط أبدًا، والوقف عند الرأس يُشعر بأن آيات القرآن قِمم

يرقى القارئ إليها، وكلَّما مضى فى القراءة ازداد رقيًّا، فهـو صـاعد أبـدًا؛ حيث يقال لقارئ القرآن: «اقرأ وارْقَ، ورتِّل كما كنـت ترتـل فى الـدنيا؛ فإن منزلتـك عنـد آخـر آيـة تقرؤهـا»[٨٢]، ومعلـوم أن رءوس الآيـات توقيفية؛ أى كما جاءت بالتلقى عن سيدنا رسول الله ﷺ.

ويلاحظ علم اللغـة الحـديث جملـة مـن الحقـائق اللغويـة فى رءوس الآيات:

١ . **التناسق الصوتى**: الذى يلفت الانتباه وتستريح لـه الأذن إلى حـدٍّ يأخذ بالنَّفس، ولعله كان أحد الأسباب التى جعلت الوليـد يقـول بعـد سماعه القرآن الكريم: «إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة»، وهما من حِـسِّ اللسان وحِسِّ الأذن.

وإذا ما حاولنا الكشف عن الظاهرة بأسلوب علمـى، وذلـك بتتبـع أصوات الحروف والحركات التى تكوِّن هـذه الفواصـل بـهذا التناسـق الصوتى المبدع، فإننا نلاحظ الآتى:

أ- كثرة الحركات، وبخاصة الطويلة (حروف المـد: الألـف والـواو والياء)، بما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام.

ب- كثرة ورود الصوامت المتوسطة: (النـون، المـيم، الـراء، الـواو، الياء)، وهى قريبة ـ مـن الناحيـة الفيزيائيـة ـ إلى طبيعـة الحركـات التـى

تسهم فى خاصية التنغيم الشجى بشكل واضح.

جـ - تُدَعِّمُ هذا ظواهرُ صوتيةٌ خاصَّةٌ بالقرآن كالـمَدِّ والغُنَّة.

وكل هذه العناصر الصوتية لا تكون بـهذا التناسق الفريد فى غير القرآن من فنون الشعر والنثر.

- **سؤال اعتراضى**: هل هذا التناسب الصوتى هو من قبيل السجع؛ حيث يتوالى الكلام المنثور على حرف واحد ليكتسب النثر ضربًا من الموسيقى والنغم؟ أمْ هو من قبيل القافية فى الشعر؟

والجواب: لا هذا ولا ذاك؛ فالفاصلة فى القرآن الكريم ليست على وتيرة واحدة، كما هو الحال فى كلٍّ من السجع والقافية، فهى لا تلتزم شيئًا من ذلك؛ حيث تجرى فى عدد من آيات القرآن على نمط، ثم تتحول عنه إلى نمط آخر، ومن خلال جريها على نمط واحد، فأغلب ما تقوم عليه هو حرف المد الذى يسبق الحرف الأخير من الكلمة، كما فى هذه الآيات:

﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ (٤) بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٥) أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا

وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ [ق].

٢. **والفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفـة دلاليـة**: ورعايتهـا تـؤدى إلى تقديم عنصر أو تأخيره، لـيس رعايـة للتناسـق الـصوتى فحـسب، بـل رعاية للمعنى أيضًا، وهذا هو ما يتفرد به القرآن الكريم.

- ومثاله قول الله ﷻ:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة].

فإنْ سأَلَ سائلٌ: لِـمَ قدَّمَ العبـادة عـلى الاسـتعانة؟ أجابَـه اللُّغويُّـون القدماء أصحاب الحسِّ المرهف، وعلى رأسهم الزمخشرى حيـث قـال: «إنَّ العبادة وسيلةٌ، فقُـدِّمتْ عـلى طلـب الحاجـة؛ ليكـونَ ذلـك أدْعَـى للاستجابة»(٨٣).

وقال الإمام ابنُ القيِّم: «هو من باب تقديم الغايات على الوسائل؛ إذ العبادةُ غايةُ العباد التى خُلِقوا لها، والاستعانة وسيلةٌ إليها.

ولأنَّ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ متعلِّـق بألوهيتــه واسْــمِه "الله"، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ متعلِّق بربوبيَّته واسْمِه "الـربّ"؛ فقـدَّم ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ على ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، كما قدَّم اسـم "الله" عـلى "الـربِّ" فى أول السورة.

ولأن ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ قِسْمُ الربِّ، فكان من الشَّطر الأول الذى هـو

ثناءٌ على الله؛ لكونه أَوْلَى به، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قِسْمُ العبد، فكان من الشَّطر الذى له، وهو ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ إلى آخر السورة(٨٤).

ولأنَّ العبادة المطلقة تتضمَّن الاستعانةَ من غير عكس؛ فكلُّ عابد لله عبوديَّة تامة مستعينٌ به، ولا ينعكس؛ لأنَّ صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته؛ فكانت العبادة أكمل وأتمَّ، ولهذا كانت قِسْمَ الربِّ.

ولأن الاستعانة جزء من العبادة، من غير عكس.

ولأن الاستعانة طلبٌ منه والعبادة طلبٌ له.

ولأنَّ العبادة لا تكون إلَّا من مُخْلِص، والاستعانة تكون من مخلصٍ ومن غير مخلص.

ولأنَّ العبادة حقُّ الذى أوجبه عليك، والاستعانة طلب العون على العبادة، وهو بيان صَدَقته التى تصدَّق بها عليك، وأداءُ حقِّه أهمُّ من التعرُّض لصدقته.

ولأنَّ العبادة شكر نعمته عليك والله يُحِبُّ أنْ يُشكر، والإعانة فعله بك وتوفيقه لك، فإذا التزمت عبوديته ودخلت تحت رِقِّها أعانك عليها؛ فكان التزامُها والدخولُ تحت رِقِّها سببًا لنَيْل الإعانة، وكلَّما كان

العبد أتمَّ عبوديةً كانت الإعانة من الله له أعظمَ، والعبوديةُ محفوفةٌ بإعانتين: إعانةٌ قَبْلَها على التزامها والقيام بها، وإعانةٌ بَعْدَها على عبوديَّةٍ أخرى، وهكذا أبدًا حتَّى يقضي العبدُ نَحْبَه.

ولأن ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (له) ﷻ، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (به) ﷻ، وما (له) مُقَدَّمٌ على ما (به)؛ لأنَّ ما (له) متعلِّقٌ بمحبَّته ورضاه، وما (به) متعلِّق بمشيئته، وما تعلَّق بمحبَّته أكملُ ممَّا تعلَّقَ بمجرَّد مشيئته؛ فإنَّ الكون كلَّه متعلِّقٌ بمشيئته، والملائكة والشياطين والمؤمنون والكفار والطاعات والمعاصي كلُّ ذلك متعلِّقٌ بمشيئته، والمتعلِّق بمحبَّته طاعاتُهم وإيمانُهم، فالكفار أهل مشيئته، والمؤمنون أهلُ محبَّته؛ ولهذا لا يستقرُّ في النَّار شيء لله أبدًا، وكلُّ ما فيها فإنَّه (به) تعالى وبمشيئته.

فهذه الأسرار يتبيَّن بها حكمة تقديم ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ على ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾»[85].

ويضيف العلَّامة الطاهر ابن عاشور: «إنَّ العبادةَ تقرُّبٌ للخالق تعالى؛ فهي أجدَرُ بالتقديم في المناجاة، وأمَّا الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه، فناسَبَ أنْ يُقَدِّمَ المناجِي ما هو من عزمه وصنعه على ما يسأل مما يُعِينُ على ذلك؛ ولأنَّ الاستعانة بالله تترتَّب على كونه معبودًا للمستعين به، ولأنَّ من جملة ما تُطْلَبُ الإعانةُ عليه العبادة؛ فكانت

متقدِّمةً على الاستعانة»[٨٦].

- كذلك، فإن الترتيب فى تقديم الصفات الخاصة بالله تعالى أو الأنبياء عليهم السلام مرتبطٌ بالسياق، من ذلك قول الله تعالى:

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [سبأ]، وقوله ﷻ: ﴿ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات].

فقدَّم الرحمة فى آية سبأ؛ لأنها منشأ المغفرة، أما الغفور فتُقدَّم فى كلِّ موضعٍ فى القرآن فيه ولو إشارةً إلى وقوع المعاصى وكفران النعم[٨٧].

- ومن بديع لغة التنزيل الكريم الآيات الآتية التى تنوَّعت فيها الفواصل لاختلاف المخاطَب فى كلٍّ منها؛ قال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ

﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾ [الأنعام].

تنوَّعَتْ فواصلُ الآيات الثَّلاث؛ لاختلاف المخاطَبِ بكلٍّ منها، ففى الآية الأُولى ذِكْرُ حركة الأفلاك والنُّجوم والاهتداء بها، وهذا من شأن العلماء؛ فناسَبَ ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾.

وفى الآية الثَّانية ذِكْرُ إنشاء الخلائق من نفس واحدة، ونَقْلهم من الأصلاب إلى الأرحام، ثمَّ من الحياة إلى الموت، والنَّظَرُ فى ذلك كُلِّه يحتاج إلى تأمُّل وتدبُّر وتفكرٍ عميق؛ فعُبِّر عن ذلك بالفقه، وهو الفَهْمُ العميق؛ فناسَبَ ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾.

أمَّا الآية الثَّالثة ففيها ذِكْرُ نِعَم الله على عباده، وسَعَةُ أرزاقه وتعدُّد أنواع الثِّمار والأقوات، ومَنْ أقرَّ بذلك كان مؤمنًا؛ فناسَبَ ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾(٨٨).

- أيضًا قول الله ﷻ فى موضعين مُتقاربين من سورة الفتح:

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤﴾.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧﴾.

فى الآية الأولى ذِكْرُ النَّصر وما يترتَّب عليه من فتح مكة والمغفرة والهداية وإتمام النِّعمة، مع ظهور صدِّهم وما لاقَوْا من عَنَت الكفار؛ لذا

ناسَبَ ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾؛ أى: عليمًا بما يترتَّب على ذلك الصَّدِّ من الفتح وصلاح الأحوال، حكيمًا فيما دبَّرَه لك من كتاب الصُّلْح بينَك وبينَ قريش؛ فإنَّه كان سببَ الفتح.

وفى الآية الثَّانية ذِكْرُ ما أعدَّ الله للمؤمنين من الجنَّات وتكفير السيِّئات، وللمشركين والمنافقين من العذاب؛ لِذا خُتِمت الآيةُ بقوله ﷻ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾؛ أى: قادرًا على ذلك، حكيمًا فيما يفعلُ من إكرام المؤمنين وتعذيب الكافرين(٨٩).

- قول الله ﷻ:

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الليل].

لماذا قدَّم الآخرة على الأُولى مع أن مقتضى الظاهر تقديم الأولى على الآخرة؟ والجواب: أنَّ ذلك مرتبطٌ بسياق السورة ومقصدها؛ فقد قامت السورة لتأكيد سوء العاقبة والإنذار لمن كذَّبَ وأعرضَ بالتنكيل به فى الآخرة، فى مقابل الثواب الذى ينتظر مَنْ أحسَنَ وتصدَّق، فإذا ما تحقَّق مع هذا المعنى الانسجامُ الصوتى وتناسب الإيقاع فى الفواصل، فذلك لا يتمُّ على هذا الوجه من الكمال فى غير النظم القرآنى المعجز، ومن قال بالتقديم لرعاية الفاصلة فحسب فهو قصور عن فهم المعنى المراد؛ فالتقديم والتأخير يرتبطان بالسياق والمعنى المراد.

جـ - من أسرار التقديم والتأخير فى غير الفاصلة:

- **وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ـ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى:**

قال الله ﷻ فى سورة يس:

﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ﴾

وقال فى سورة القصص:

﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ ﴾.

فى آية يس قُدِّم الجار والمجرور ﴿ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ ﴾؛ لأن الرجل جاء ناصحًا لهم فى شأن مخالفة دينهم، فمجيؤه من البعد أنسب لدفع التهمة والتواطؤ عنه؛ فقُدِّم ذِكْرُ البعد لذلك.

وفى آية القصص لم يكن نصحه لترك أمر يشقُّ تركُه كالدِّين، بل لمجرد نصح موسى عليه السلام؛ فجاء على الأصل فى تقديم الفاعل على الجار والمجرور.

- **نرزقكم وإيَّاهم ـ نرزقهم وإيَّاكم:**

قال الله ﷻ فى سورة الأنعام:

﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ ﴾.

وقال ﷻ فى سورة الإسراء:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾.

قُدِّم ضمير المخاطب (الكاف) على ضمير الغائب (إيَّاهم) فى آية الأنعام؛ لأن الخطاب فيها للفقراء؛ فحَسُن أن يقال لهم: ﴿نَّرْزُقُكُمْ﴾ أولًا؛ كى يزول ما بكم من فقر، ثم عطف عليهم أولادهم لإفادة معنى: نرزقكم جميعًا.

أمَّا فى آية الإسراء فقُدِّم ضمير الغائب: ﴿نَرْزُقُهُمْ﴾، وتلاه ضمير المخاطب: ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾؛ لأن الخطاب فيها للأغنياء، ولذلك استخدم فيها المفعول لأجله: ﴿خَشْيَةَ﴾؛ أى: بسبب خوفكم من احتمال تعرُّضكم للفقر فى المستقبل، فحَسُن أن يبدأ برزق الأولاد فقيل لهم: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾، فلن يصيبكم فقر بسببهم، ثم تلا ذلك ذكر رزق المخاطبين: ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾.

- **السارق والسارقة ـ الزانية والزانى:**

قال ﷻ فى سورة المائدة:

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾.

وقال ﷻ فى سورة النور:

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾.

قُدِّم السارق على السارقة فى آيـة المائـدة؛ لأنَّ الرجـال أقـوَى وأشـدُّ جرأة وإقدامًا على السرقة من النساء، بينما قُدِّمت الزانيـة عـلى الزانـى فى آيةالنور؛ لأن ابتداء الزنا هو من شأن النساء، لتجمُّلهن وتزيُّنهن، وهـنَّ اللاتى يُمكنَّ الرجال من الوقوع فى معصية الزنا.

كلُّ ذلك فَهْمٌ آتاه الله بعض عباده، ومـا أكثـر أسرار الـنَّظم القرآنـى المعجز.

٢. إعجاز النظم القرآنى على مستوى السورة:

أ- الإحكام والتماسك بين الآيات داخل السورة (السياق):

آيات القرآن يفسر بعضها بعضًا بشكل متفرد:

- من ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾، من هم المتقون؟ فيأتى البيان فى الآيات الآتية: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

• وفى سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾، من هم المؤمنون؟ وتأتى الآيات الآتية لبيان أوصافهم: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠﴾.

• وفى سورة البينة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١﴾، وقد يسأل سائل: ما البينة؟ فيأتى البيان فى الآيات التى بعدها: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾.

ب- الإحكام والتماسك بين بداية السورة وختامها:

إحكام النَّظْم القرآنى على مستوى السُّورة يظهرُ فى العلاقة بين بداية السورة وآيات السورة، كما يظهر بين بداية السورة وختامها، وهى ميزة يتفرَّد بها القرآن، ومن الشَّواهد على ذلك سورة الرحمن، فلهذه السورة نسقٌ خاصٌّ: إنها إعلام بآلاء الرحمن الباهرة الظاهرة، فى جميل صنعه،

وإبداع خلقه، وفى فيض نعمائه، وفى تـدبيره للوجـود ومـا فيـه، وتُوجِّـه الخلائق كلها إلى وجهه الكـريم، وهـى إشـهاد عـام للوجـود كلـه عـلى الثقلـين: الإنـس والجـن المخـاطبين بالـسورة عـلى الـسواء، فى سـاحة الوجود، عـلى مـشهد مـن كـل موجـود، مـع تحـدِّيهما إن كانـا يملكـان التكذيب بآلاء الله، تحديًا يتكرر عقـب بيـان كـل نعمـة مـن نعمـه التـى يعدِّدها ويفصِّلها، ويجعل الكون كله معرضًا لها، وساحة الآخرة كذلك.

فبداية السورة ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ جاءت جوابًا على مـن سـألوا النبـى ﷺ: وما الرحمن؟ فكان الجواب: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾.. وآيـات الـسورة بعـد ذلـك بيان لصفاته وآلائـه، آلاء الله فى الكـون، آلاء الله فى الخلـق، وآلاء الله فى الآخرة، ثم تذكير الإنس والجن بهـذه الـنعم التـى لا تنكـر ولا تكـذب لجلائها ووضوحها.

وفى الختام يأتى هذا الثناء العظيم عـلى الـرحمن: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾، وكأن واقع حال السورة يقـول: تبـارك اسـمُ الله (الرحمن) الذى اتصف بكل هذه الكمالات وأفاض على خلقه بكل هـذه الآلاء.

جـ - الإحكام والتماسك بين سور القرآن الكريم:

- إحكام النَّظم القرآنى على مستوى السُّورة يظهر واضحًا إذا تدبَّرْنا

العلاقة والمناسبة بين ختام السورة وبداية السورة التى تليها، وقد تظهر هذه العلاقة والمناسبة مباشَرةً كما فى آخر سورة الواقعة: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾، وبداية سورة الحديد: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾.

– وكما هو واضح أيضًا فى آخر سورة الإسراء التى فيها أمر بالحمد: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾، وبداية سورة الكهف بدأت بالحمد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ ﴾.

– وكما هو واضح أيضًا فى آخر سورة الطور: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾، وبداية سورة النجم: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾.

– وكما هو واضح أيضًا فى ختام سورة هود: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾، وبداية سورة يوسف: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا

وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾، فقصص الأنبياء السابقين وأحوالهم فى الدعوة تسلية لقلب النبي ﷺ - هو وجه من وجوه الغيب.

- وكما هو واضح أيضًا فى ختام سورة المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾، وبداية سورة الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾؛ حيث تبيّن الآيات مظاهر طلاقة القدرة لله تعالى فى خلق الظلمات والنور، وخلق الإنسان من طين، وإحاطة علمه ﷻ؛ فيستوى عنده السر والجهر.

- وعلى المنوال نفسه تظهر الصلة بين ختام سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾، وبداية سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾، فسبحان من هذا كلامه.

- وقد تكون العلاقة غير مباشرة، كما فى آخر سورة الإسراء وبداية سورة الكهف؛ حيث ختمت الإسراء بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى

لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾﴾، وهذا حمدٌ على نعمة الله تعالى ووحدانيته وتجرُّده عن الشريك، وجاء افتتاح سورة الكهف بالحمد لله على نعمة القرآن بلا عوج وجعله قيِّـمًا على سائر الكتب وبشرى للمؤمنين: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾﴾، والجامع بين آية ختام الإسراء وآية بداية الكهف هو تعداد النعم التى تستوجب الحمد لله تعالى.

٣. إعجاز المجاز القرآنى:

للمجاز بأنواعه المختلفة مكانةٌ كبـيرةٌ فى لُغـة العـرب، وقَـدْ جَـاءَ فى القرآن من التَّشْبيه والاستعارة وغيرهمـا مـن ضروب المجـاز مـا أعْجـزَ العربَ، كقول الله ﷻ:

- ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس].

عبَّرت الآية الكريمةُ عن زوال ضوء النَّهار أمام ظُلمـة اللَّيـل بلفـظ "نَسْلَخ"، وفى هذا إشارةٌ إلى طُغيان الظُّلمة وسيطرتِها، وأنَّ حالة الظلام أصلٌ والنُّور فرع طارئ، وفى هذا المجاز الرائع ـ بالإضافة إلى ما فيه مـن روعة البيان ـ إعجازٌ علميٌّ؛ حيثُ تشير الآية إلى أنَّ الله تعالى ينـزع نـور

النهار من أماكن الأرض التى يتغشَّاها الليل بالتدريج كما ينزع جلد الذبيحة عن كامل بدنها بالتدريج، وذلك لا يكون إلا بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس.

وفى هذا النص القرآنى سبق بالإشارة إلى رقة طبقة النهار فى نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس، وتلك حقيقة لم يدركها الإنسان إلا بعد ارتياد الفضاء فى النصف الثانى من القرن العشرين، حيث تم إثبات أن سُمْكَ طبقة النهار حول الأرض لا يتعدَّى مائتى كيلو متر فوق سطح البحر، وإذا قِيس ذلك إلى المسافة التى تفصل بيننا وبين الشمس والمقدَّرة بنحو مائة وخمسين مليونًا من الكيلو مترات ـ فإنها لا تتجاوز نسبة واحد إلى سبعمائة وخمسين ألفًا، وإذا قِيسَ ذلك إلى الجزء المدرك من الكون والمقدر بأكثر من عشرة مليارات من السنين الضوئية ـ اتَّضحت ضآلته، واتضحت كذلك لمحة الإعجاز القرآنى فى تشبيه انحسار طبقة النهار الرقيقة عن ظلمة الليل بسلخ جلد الذبيحة الرقيق عن كامل بدنها، وفى التأكيد على أن الظلام هو الأصل فى الكون، وأن نور النهار ظاهرة رقيقة عارضة لا تظهر إلا فى الطبقات الدنيا من الغلاف الغازى للأرض فى نصفها المواجه للشمس[٩٠].

- ومن محاسن التشبيه كمالُ الشَّبَه، ووسيلة ذلك الاحتراسُ،

وأحسنُه ما وقَعَ فى القُرآن الكريم كقول الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [محمد: ١٥]، وهذا احْتراسٌ عن كراهة الطَّعام، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ احْتراسٌ عن أنْ تتخلَّلَه أقْذاءٌ من بقايا نَحْلِه(٩١).

• ومن بليغ الاستعارة قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤].

أَمَرَ الله تعالى الولدَ بأن يُلِينَ جانبَه لوالدَيْه ويتواضعَ لهما؛ فاستعار لفظ الجناح مُنبِّهًا به على المبالغة فى طلب أنْ يكون الولد لأبَوَيْه كالطَّائر لفرخه فى فَرْطِ محبَّته وحُنُوِّه وعطفه عليه، فجعلَ الذلَّ طائرًا على طريق الاستعارة، ثم جَعَلَ له ما للطَّائر من الآلات والجوارح، ثم أضاف الجناح إلى الذلِّ؛ رعايةً لمزيد البيان، حَيْثُ نزَّلَ التَّواضُعَ منزلةَ الجناح فى التصاقه بالتراب وإسباله فى التغطية للفرخ، مبالَغةً فى اللِّينِ والرقَّة وحُسْن التذلُّل للوالدين(٩٢).

• ومن ألطف ما جاء من المجاز فى القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾ [النحل: ١١٢].

لـمَّـا ابتلاهم الله تعالى ـ لكفرهم ـ باتِّصال هاتين البليتـين (الخـوف والجوع)، استعارَ اللِّباسَ لدوام هذه الحال واشتمالِها عليهم، بـما للِّبـاس من التغطية والستر والاسترسال، فكأنَّ ما يُرَى على الإنـسان عنـد شـدة الجوع والخوف من الضَّعف والهزال، وانتقـاع اللـون، وصـفرة الوجـه، ورثاثة الهيئة، وسوء الحال، وحصول القلق والفشل، يُضاهى الملابس فى اشتمالها على لابِسها، وبالغ فى شدَّة ما أصابهم بلفظ «فأذاقهـا» ولم يقـل: «فكساها»؛ لأن الذَّوق أبلغ فى الإحساس وأدخل فى الإيلام(٩٣).

وصدَق رسول الله ﷺ إذْ يقول: «إنَّ هذا القـرآن مأْدُبَـةُ الله، فَتَعَلَّمُـوا من مأْدُبَةِ الله ما اسْتَطَعْتُمْ، إنَّ هَذَا القُرْآنَ حَبْـلُ الله، وهـو النُّـورُ المُبِـينُ، والشَّافِعُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِـمَنْ تَمَسَّكَ به، ونجاةٌ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ، ولا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، ولا تنقضى عجائبُهُ، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرَّدِّ»(٩٤).

فسبحان من هذا كلامه، وما يعقلها إلا العالمون،
وما يذكَّر إلَّا أولو الألباب.

هوامش البحث

(١) لسان العرب/ ابن منظور. ـ القاهرة: دار المعارف، [-١٩]، (ع ج ز).

(٢) دلائل الإعجاز/ عبد القاهر الجرجاني؛ تحقيق محمود محمد شاكر. ــ القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٩٨٤، ص ٣٩، ٤٠ بتصرف.

(٣) انظر: التحرير والتنوير/ الطاهر ابن عاشور. ــ تونس: دار سحنون، ١٩٩٧، ١/ ١٠٤، ١٠٥.

(٤) لسان العرب/ ابن منظور. ـ القاهرة: دار المعارف، [-١٩]، (ب ى ن).

(٥) البيان والتبيين/ الجاحظ؛ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ــ ط١. ــ القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨، ص٥٤.

(٦) البيان والتبيين/ الجاحظ؛ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ــ ط١. ــ القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨، ص٥٤، ٥٥.

(٧) إعجاز القرآن/ الباقلانى؛ تحقيق السيد أحمد صقر. ــ ط٥. ــ القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٧، ص٤١٩.

(٨) وحى القلم/ الرافعى. ـ ط١. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠، ١/ ١٠.

(٩) معلوم أن الحركات الطويلة (حروف المد) لها دلالة عامة على إشباع المعنى، ثم يأتى السياق بتحديد الدلالة المقصودة بالإشباع.

(١٠) تُنظَر فواصل الآيات: ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨ من سورة القيامة.

(١١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ الزمخشرى. ــ ط٣. ــ بيروت: دار الكتاب العربى، ١٩٨٦، ٤/ ٦٦٤.

(١٢) العربية وعلم اللغة الحديث/ د. محمد محمد داود .ــ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١م، ص٣٣.

(١٣) المخصص/ ابن سيده؛ تحقيق خليل إبراهيم جفال. ــ ط١. ــ بيروت: دار إحياء التراث العربى، ١٩٩٦، ١/ ٤١١.

(١٤) الخصائص/ ابن جنى؛ تحقيق محمد على النجار. ــ ط٣. ــ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ٢/ ٣٤٢.

(١٥) نظام الغريب فى اللغة/ عيسى الربعى. ــ ط٢. ــ القاهرة: مؤسسة الكتب الثقافية،١٩٨٧، ص٦١: ٦٥.

(١٦) التحرير والتنوير/ الطاهر ابن عاشور. ـ تونس: دار سحنون، ١٩٩٧، عند تفسير الآية.

(١٧) الإتقان فى علوم القرآن/ السيوطى؛ تحقيق د. محمد متولى منصور. ــ ط١. ــ القاهرة: مكتبة التراث، ٢٠٠٧، ٣/ ١٧١: ١٧٤بتصرف.

(١٨) المثل السائر/ ابن الأثير، ١/ ٢٢٩.

(١٩) إعجاز القرآن/ الرافعى، ٢٦١.

(٢٠) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية/ الجوهرى؛ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ـ ط٤. ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧، (ض ى ز).

(٢١) راجع: البيان فى روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى/ د. تمام حسان. ـ ط١. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣.

(٢٢)، (٢٣) انظر: دراسة إحصائية لجذور مفردات اللغة العربية: الجذور غير

الثلاثية/ د. على حلمى موسى. ـ الكويت: جامعة الكويت، ١٩٧٢. عربية القرآن/ د. عبد الصبور شاهين. ـ القاهرة: مكتبة الشباب، ٢٠٠٠، ص١٠٢.

(٢٤) تفسير المحرر الوجيز/ ابن عطية، ١/ ٣٨، ٣٩.

(٢٥) مقاييس اللغة (ب ع د).

(٢٦) اللسان (ب ع د).

(٢٧) الكشاف ٢/ ٢٩١.

(٢٨) البحر المحيط ٥/ ٢٥٨. وانظر : مفردات الأصفهانى (ب ع د).

(٢٩) مقاييس اللغة، الصحاح، اللسان (ش ر ى).

(٣٠) مفردات الأصفهانى (ش ر ى).

(٣١) الكشاف ١/ ٣٠١.

(٣٢) الكشاف ١/ ٣٥٢.

(٣٣) البحر المحيط ٣/ ٢٩٥، الكشاف ١/ ٤٥٢.

(٣٤) الكشاف ٢/ ٣٠٩.

(٣٥) انظر: خصائص التعبير القرآنى ٢/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٣٦) الكشاف ٤/ ٧٥، التحرير والتنوير ٢٨/ ٣٧، ٣٨.

(٣٧) المقاييس، اللسان (ب أ س).

(٣٨) مفردات الأصفهانى (ب ؤ س).

(٣٩) البحر المحيط ٢/ ٨.

(٤٠) انظر: اللسان (س خ ر).

(٤١) اختلف القراء فى (سخريًّا) فى آيتـى المؤمنـون وص، فقرأهمـا المـدنيان وحمـزة والكـسائى وخلـف بـضم الـسين فى الموضـعين، وقـرأ البـاقون بكـسر الـسين فى الموضعين. واتفقوا جميعًا على ضم السين فى آية الزخرف؛ لأنها مـن الـسُّخْرة لا مـن الهُـزء (النشر فى القراءات العشر ٢/ ٣٢٩)، والمعتمد هنا قراءة من قرأ بكسر الـسين فى الموضعين المذكورين، ومنهم حفص عن عاصم.

(٤٢) الكشاف ٣/ ٤٤ ، ٣/ ٣٨٠.

(٤٣) القرطبى ١٢/ ١٥٥.

(٤٤) البحر المحيط ٦/ ٤٢٣.

(٤٥) اللسان (س ل م)، وانظر: الصحاح، التهذيب، مقاييس اللغة (س ل م).

(٤٦) النهاية، اللسان (س ل م).

(٤٧) الكشاف ١/ ٣٥٣.

(٤٨) البحر المحيط ٢/ ١٠٩.

(٤٩) نقله الطاهر ابن عاشور فى: التحرير والتنوير ٢/ ٢٧٦.

(٥٠) انظر: الكشاف ٢/ ١٦٦، ٣/ ٥٣٩، البحر المحيط ٤/ ٥١٣، ٨/ ٨٥.

(٥١) الكشاف ١/ ٥٥٢، ٢/ ٤٠٧، ٢/ ٤٢٤.

(٥٢) الكشاف ٣/ ٣٩٧.

(٥٣) كمال اللغة القرآنية، ص ١٠٢.

(٥٤) مقاييس اللغة، اللسان (ك ر هـ).

(٥٥) اللسان (ك ر هـ).

(٥٦) هذا على قراءة عاصم، وهو ما يوافق رسم المصحف، وقد اختلف القُرَّاء فى بعض هذه المواضع، ولكنهم أجمعوا على ضم الكُره فى سورة البقرة (ينظر: المفصل فى القراءات).

(٥٧) التحرير والتنوير ٢/ ٣٢٠، ٣٢١.

(٥٨) هذا على قراءة عاصم، واختلف فيه القراء، ولم يُجمعوا إلَّا على ضم كلمة (الكُره) فى سور البقرة، كما سبق.

(٥٩) الكشاف ١/ ٣٤.

(٦٠) التفسير القيم ص٣٣.

(٦١) بدائع الفوائد ١/ ٢٣.

(٦٢) كشف المعاني فى متشابه المثانى ص٥٠.

(٦٣) الكشاف ١/ ٥٥٣، ٢/ ٩٢، ٢/ ٤٢٦؛ وانظر: شرح الرضى على الكافية ٢/ ٢٢٠؛ الأشباه والنظائر للسيوطى ٢/ ٢٠١: ٢٠٦؛ الكليات لأبى البقاء، ص ٢٣٢؛ شرح المفصل لابن يعيش ٦/ ٨٢، ٨٣.

(٦٤) مقاييس اللغة/ ابن فارس؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون. ــ ط٢. ــ شركة ومطابع مصطفى البابى الحلبى، ١٩٧٢، (ب ر ر).

(٦٥) تهذيب اللغة/ الأزهرى؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون؛ مراجعة محمد على النجار، على محمد البجاوى. ـ القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ١٩٧٥. مقاييس اللغة/ ابن فارس؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون. ـ ط٢. ـ شركة ومطابع مصطفى

البابى الحلبى، ١٩٧٢. لسان العرب/ ابن منظور. ـ القاهرة: دار المعارف، [-١٩]، (ب ر ر).

(٦٦) لسان العرب/ ابن منظور. ـ القاهرة: دار المعارف، [-١٩]، (ب ر ر).

(٦٧) المفردات فى غريب القرآن/ الراغب الأصفهانى، تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى. ـ بيروت: دار المعرفة، [-١٩]، (ب ر ر).

(٦٨) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته/ د. أحمد مختار عمر. ـ القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠١، ص٢٣٥.

(٦٩) معانى الأبنية فى العربية/ د. فاضل صالح السامرائى. ــ ط١. ــ عمان: دار عمار للنشر، ٢٠٠٥، ص١٤٣.

(٧٠) معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم/ د. محمد محمد داود. ـ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨، ص٤٦٨، ٤٦٩.

(٧١) لسان العرب/ ابن منظور. ـ القاهرة: دار المعارف، [-١٩]، (ع ى ن).

(٧٢) معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم/ د. محمد محمد داود. ـ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨، ص ٤٨٩، ٤٩٠. وانظر: الاشتراك والتضاد فى القرآن الكريم: دراسة إحصائية/ د. أحمد مختار عمر. ــ ط١. ــ القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٣، ص١١٥، ١١٦.

(٧٣) تهذيب اللغة، الصحاح، لسان العرب (ر و ح).

(٧٤) مفردات الأصفهانى، عمدة الحفاظ (ر و ح).

(٧٥) معانى القرآن/ الفراء ٢/ ٢٦٩.

(٧٦) الكشاف ٣/ ٢٢٥ – ٢٢٦.

(٧٧) فى ظلال القرآن/ سيد قطب. ـ ط ٢٧. ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٨، ٥/ ٣١٧١.

(٧٨) راجع بتوسع: البيان فى روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى/ د. تمام حسان. ـ ط١. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣، ص٣٢٠: ٣٢٦ بتصرف.

(٧٩) الجامع لأحكام القرآن الكريم/ القرطبى. ـ ط٢. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربى، ١٩٨٥، ١٣/ ٢٥٢.

(٨٠) دلائل الإعجاز/ عبد القاهر الجرجانى؛ تحقيق محمود محمد شاكر. ـ القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٩٨٤، ٢/ ٤٥، ٤٦.

(٨١) التفسير القيم/ ابن قيم الجوزية؛ تحقيق محمد حامد الفقى. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨، ص٤٢٦.

(٨٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٦٥٠٨)، والنسائى فى سننه (٨٠٥٦)، وابن حبان فى صحيحه (٧٦٧)، وقال الألبانى فى صحيح الترغيب والتهذيب: حسن صحيح (١٤٢٦).

(٨٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ الزمخشرى. ـ ط٣. ـ بيروت: دار الكتاب العربى، ١٩٨٦، ١/ ١٤، ١٥.

(٨٤) إشارة إلى الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال الله تعالى:

حمدنى عبدى، إذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: أثنى علىَّ عبدى، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مجَّدنى عبدى، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل» [صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة، (١/ ٢٩٦)، رقم (٣٩٥)].

(٨٥) التفسير القيم/ ابن قيم الجوزية؛ تحقيق محمد حامد الفقى. ــ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨، ١/ ١٤، ١٥.

(٨٦) التحرير والتنوير/ الطاهر ابن عاشور. ــ تونس: دار سحنون، ١٩٩٧، ١/ ١٨٣، ١٨٤.

(٨٧) معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم/ د. محمد محمد داود. ـ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨، ص٦٢٢.

(٨٨) معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم/ د. محمد محمد داود. ـ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨، ص٥١١، ٥١٢.

(٨٩) معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم/ د. محمد محمد داود. ـ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨، ص٥١٢، ٥١٣.

(٩٠) ***www.elnaggarzr.com***.

(٩١) التحرير والتنوير/ الطاهر ابن عاشور. ــ تونس: دار سحنون، ١٩٩٧، ١/ ١٠٩.

(٩٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز/ العلوى الطالبى. ــ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٠، ١/ ١٢١، ١٢٢.

(٩٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز/ العلوى الطالبى. ــ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٠، ١/ ١٢٤.

(٩٤) أخرجه ابن نصر المرْوَزى فى قيام الليل(١/ ١٧١). وقال عنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة: هذا إسناد لا بأس به فى المتابعات.



مؤلفات الدكتور محمد داود

فى مجال الدراسات اللغوية:

- القرآن الكريم وتفاعل المعانى (جزءان)، نشر دار غريب.
- الدلالة والحركة فى العربية المعاصرة، نشر دار غريب.
- الدلالة والكلام فى العربية المعاصرة، نشر دار غريب.
- العربية وعلم اللغة الحديث، نشر دار غريب.
- الصوائت والمعنى فى العربية، نشر دار غريب.
- اللغة والسياسة فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر، نشر دار غريب.
- حرب الكلمات فى الغزو الأمريكى للعراق، نشر دار غريب.
- دموع الشوباشى بين يدى سيبويه، نشر شركة يمامة للإنتاج الإعلامى.
- اللغة وكرة القدم، نشر دار غريب.
- لغويات محدثة، نشر دار غريب.
- جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية. نشر دار غريب.

- كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم نشر دار المنار.
- معجم التعبير الاصطلاحى فى العربيـة المعـاصرة، نـشر دار غريب.
- معجم ألفاظ الكلام فى العامية المعاصرة، نشر دار غريب.
- المعجم الوسيط واستدراكات المستشرقين، نشر دار غريب.
- معجم الفروق الدلالية بين كلمات القرآن، نشر دار غريب.
- جدلية اللغة والفكر، نشر دار غريب.
- كلمات القرآن عـبر الـزمن (لمـاذا كتـب لهـا الخلـود؟)، دار الهلال.
- اللغة فى محراب القدس (شريك المقاومة وسجل الحقـائق)، نشر دار الهلال.

فى مجال تحقيق التراث:

- كشف المعانى فى متشابه المثانى، لابن جماعة، نشر دار المنار.
- شرح كافية ابن الحاجب، لابن جماعة، نشر دار المنار.

- مشتبهات القرآن الكريم، للكسائى، نشر دار المنار.
- معجم الألفاظ القرآنية، للقليبى، نشر دار الآداب.
- المختار من مدائح المختار ﷺ للشاعر الشهيد يحيى الصرصرى، نشر دار المنار. (فاز هذا الكتاب بجائزة مجمع اللغة العربية عن تحقيق التراث لسنة ٢٠٠٤).
- تحية الوداع للأديب كامل كيلانى، نشر دار المنار.

فى مجال الدعوة الإسلامية:

- آلام أمة بين القدس وغدر اليهود، نشر دار المنار.
- مواقف وعبر (٥ج×١مج)، نشر دار المنار.
- موعظة البقاع الشريفة بمكة والمدينة، نشر دار المنار.
- القرآن وصحوة العقل، نشر دار المنار.
- الملاذ الآمن، نشر دار المنار.



د. محمد محمد داود

هذا بحث فى الإعجاز البيانى فى ضوء العلوم اللغوية الحديثة، التى تقوم على دراسة اللغة دراسة علمية، ولقد جاءت البحوث اللغوية المعاصرة التى تقوم على المناهج الحديثة تشهد للإعجاز القرآنى فى جوانبه المختلفة.

ويشمل هذا البحث جملة من الموضوعات التى تتكامل فيما بينها، بدأ البحث ببيان مفهوم الإعجاز، وشروطه، ووجوهه، ثم حدد البحث – فى تركيز شديد – مفهوم البيان لغة واصطلاحاً، ثم جاء صلب البحث فى بيان الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم فى ضوء العلوم اللغوية الحديثة.